سوريتنا

«عندما يقرر العبد أن لا يبقى عبدا فإن قيوده تسقط»
غاندي

صفحتنا على فيس بوك:
www.facebook.com/souriatna
souriatna@gmail.com souriatna.wordpress.com

سوريتنا | السنة الأولى | العدد (32) | 29 / 4 /2012 أسبوعية تصدر عن شباب سوري حر

سوريون بلا أوراق رسمية والسفارات لا تعترف بالأزمة

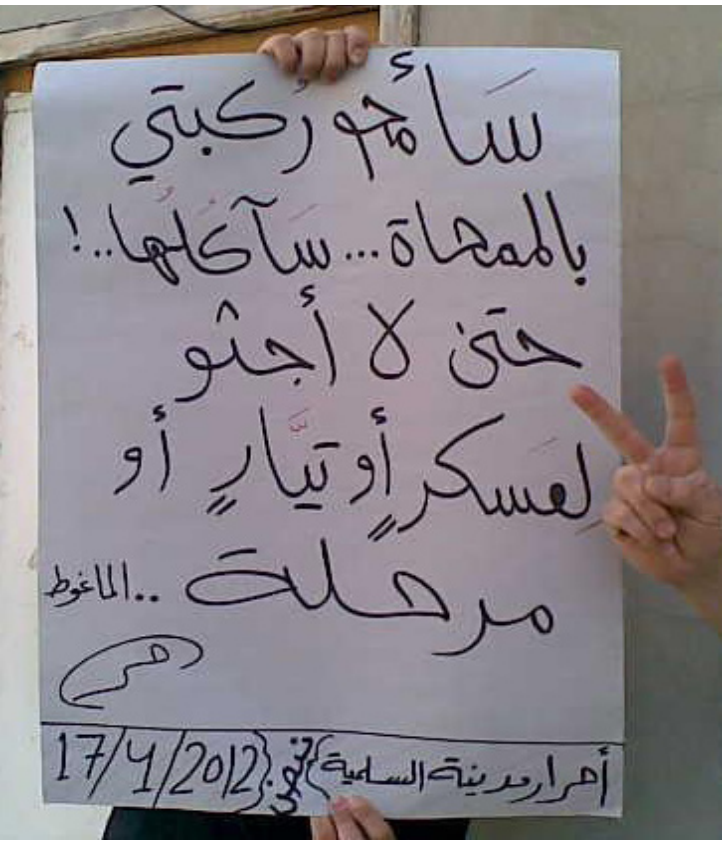

في إحدى السفارات السورية، ومن وراء الزجاج اشتد النقاش بين أحد المواطنين السوريين وموظف السفارة، والشجار لم يكن منبعه تقصير الموظف في أداء عمله، أو تشنج المواطن بسبب ازدحام صور الرئيس السوري على الجدران، ولا كان سبب التوتر صوت التلفزيون السوري الذي يكاد يصم الآذان مع صوت المذيعة الهادر كمن يقرأ بياناً عسكرياً.

التوتر حدث ببساطة لأن الشاب وللمرة الخامسة على التوالي يأتي إلى سفارة بلاده التي من المفروض أن تسهل له أوراقه وتحركاته وتيسر أموره لاستخراج ورقة رسمية روتينية، ولكن الموظف تعامل مع الموضوع وفقاً للقانون مما حوله إلى رجل آلي بنظر الشاب، فالموظف يطلب ورقة رسمية مصدرها حمص، والشاب يعيد نفس الحكاية التي كان من الواضح أنه ملّ من تكرارها: "أنا من حمص، وحمص اختفت من الخريطة، فقد قصفت والناس إما ماتوا أو هربوا، ولا مباني حكومية في حمص، ولا أوراق رسمية لي لأن منزلي في بناية أسقطها القصف قبل أيام، أهلي هربوا للسعودية وأنا أصبحت شبه مسجون بلا أوراق رسمية".

لا أدري إن كان النظام السوري يفكر حالياً في حل مشاكل شباب الاغتراب، وربما تبدو فكرة خيالية أن يطالب ذلك الشاب سفارته بإعطائه ورقة رسمية في ظل الأزمة التي تعيش بها سوريا، ولم يفده في إقناع الموظف أن يشرح له ما حدث ويحدث في حمص، فالموظف يعرف والمواطن يعرف والسفير يعرف، ولكن المعرفة لم تكن في يوم من الأيام حلاً.

تعاني حمص وبقية المدن المنتفضة من أزمة الأوراق الرسمية، والتي بدأت في دمشق بمضايقات يتلقاها الحمصي والدرعاوي والحموي وربما الديري أينما ذهب في الدوائر الحكومية في العاصمة، وإن كان موظف السفارة تعامل بلطف مع الشاب، فإن موظفي دمشق يبدؤون بالسخرية منه ولا ينتهون بإلقاء التهم يميناً وشمالاً واستعمال الكلمات المسيئة.

نفس المشكلة تتكرر في دول الاغتراب، مع فارق أن الشخص في هذه الحالة سيقع في مأزق أكبر من أن يسمع تهمة بانتمائه للعرعور، أو كلمة قاسية تذكره بأن نظامه لا يتعامل معه على أسس إنسانية، إنما سينتهي به الأمر بمخالفة قوانين الدولة التي يعيش ويعمل بها، وما لم يقتنع موظف بلده فلن يسمعه موظف بلد آخر.

لتكن مواطنا سوريا يجب أن تكون حاملاً للجنسية السورية، ولكن حمل الجنسية لا يعني أن الدولة السورية معترفة بك.

مجزرة في حي «المشاع» بحماة

أكدت "لجان التنسيق المحلية" ارتكاب النظام مجزرة جديدة، جراء قصف حي مشاع الطيار بحماة، راح ضحيتها 54 شهيدا، بينهم 13 طفلاً على الأقل،إضافة إلى 16 امرأة من آل برغل، وهناك 15 جثة موجودة في مدرسة إبراهيم حلاق أغلبهم من النساء ولا زالت عمليات انتشال الضحايا من تحت الأنقاض جارية.

من جهتها أكدت "الشبكة السورية لحقوق الإنسان" أن عدد ضحايا مدينة حماة 86، أغلبهم سقطوا في مجزرة مشاع الطيار، وبإطلاق نار على حافلة لشركة الأهلية، وأوردت جزء كبير من أسمائهم.

كما نشرت صحيفة الشرق الأوسط تقريراً عن المجزرة:

قال ناشطون معارضون إن القوات السورية ارتكبت مجزرة مروعة في حي مشاع الأربعين داخل مدينة حماه السورية، وأضاف الناشطون أن أكثر من 70 دبابة كانت تحاصر المدينة قامت بقصف أحياء الأربعين ومشاع الأربعين والصابونية والحميدية، إلا أن القصف الأعنف استهدف حي مشاع الأربعين الذي سقط فيه، وفقاً للناشطين، أكثر من 40 قتيلا وعشرات الجرحى. وأوضح شاهد عيان من المدينة المستهدفة أنه «منذ الصباح الباكر تم تقطيع المدينة وعزل الأحياء المراد قصفها، ليتم بعد وقت قليل تنفيذ هجوم مدفعي صاروخي ضد الأحياء السكنية الآمنة مما خلف أضرارا بالغة في البيوت والمحلات، إلا أن الأضرار الكبيرة في عدد الضحايا الذي تجاوز الأربعين».

وأضاف الشاهد: «لم تكتف القوات النظامية بالقصف؛ إذ تم اقتحام الأحياء وإحراق أكثر من أربعة بيوت سكنية تعود لناشطين معارضين للنظام الحاكم»، وأكد أن «هناك جثثا ملقاة في الشوارع، لم نستطع الوصول إليها بسبب كثافة القصف ووحشيته». واستبعد الشاهد أن يكون الجيش السوري الحر الذي توجد بعض عناصره في المدينة قد قام بالتصدي للقوات النظامية الموالية للأسد، معتبرا أن «الجيش الحر ملتزم بالهدنة ولم يقم بأي رد فعل على هجوم قوات النظام، والدليل على ذلك أن جميع الضحايا من المدنيين وبعضهم من النساء والأطفال». وكان المراقبون الدوليون المبعوثون من الأمم المتحدة لمراقبة اتفاق وقف إطلاق النار قد زاروا مدينة حماه أول من أمس واستقبلوا في حي مشاع الأربعين حيث حدثت المجزرة، بمظاهرات حاشدة هتفت لرحيل نظام الأسد كما أظهر أحد أشرطة الفيديو الذي تم نشره على «فيس بوك».

ويعتقد أحد أعضاء اللجان الثورية في المدينة أن «السبب الرئيسي لاستهداف الحي هو خروج أهله بكثافة لملاقاة المراقبين والتحدث معهم وفضح أكاذيب النظام السوري، الرامية إلى تشويه الحراك الشعبي المطالب بالحرية والديمقراطية». ويضيف الناشط أن السلطات السورية تعتمد «سياسة الانتقام من المناطق التي تتظاهر خلال وجود المراقبين الدوليين، وهذا ما حدث في أحد أحياء حمص، حين انسحبت القوات النظامية أثناء الزيارة وعادت بعدها لتنتقم من السكان الذي خرجوا في مظاهرات تطالب المبعوثين الأمميين بإيصال معاناتهم إلى العالم».

ويحمّل بهاء، أحد الناشطين البارزين في مدينة حماه، مسؤولية المجزرة التي ارتكبتها القوات النظامية أمس «للأمم المتحدة والمجتمع الدولي»، متهما إياهم «بمنح نظام الأسد الفرصة تلو الأخرى ليتمادى في قتل شعبه والتنكيل به»، ويضيف: «المراقبون لا يفعلون شيئا، مشهد حضورهم إلى مدينة حماه كان مضحكا، بعضهم كان خائفا من قيام قوات النظام بشن هجوم على مكان وجودهم. لا يستطيع هؤلاء ولا سواهم مراقبة النظام أو حثه على وقف العنف، هذا النظام لا يفهم بالدبلوماسية.. لا بد من تدخل عسكري يطيح به».

ويقع حي مشاع الأربعين ضمن منطقة الحاضر وسط حماه، التي تعد مركزا تجاريا يعج بالحركة والنشاط والزوار والقادمين من جميع القرى والبلدات التي تقع حول مدينة حماه بقصد التجارة للتسوق أو للبيع. كما تضم المنطقة أروقة وأحياء سكنية.

بيان حول معتقلي المركز السوري للإعلام وحرّية التعبير

منذ السادس عشر من شباط، حين داهمت دوريات الأمن مقرّ المركز السوري للإعلام وحرّية التعبير، يقبع أصدقاؤنا وزملاؤنا يارا بدر، هنادي زحلوط، رزان غزّاوي، ميّادة الخليل، ثناء زيتاني، جوان فرسو، أيهم غزّول، بسام أحمد، مازن درويش، عبد الرحمن حمادة، حسين غرير، منصور العمري وهاني زيتاني في المعتقل. بعضهم خرج مجبراً على مراجعة فرع المخابرات الجوّية يومياً قبل أن يُعاد اعتقاله، وبعضهم الآخر دون أيّ اتصال مع ذويهم أو أيّ معلومات رسميّة عن أوضاعهم الصحيّة والقانونيّة. كان عليهم الانتظار أكثر من شهرين قبل أن يعرفوا فحوى الاتهامات الفراقوشيّة التي وُجّهت لهم في القضاء العسكري، وحتّى هذا "التشريف" لم يكن عاماً، حيث ما زال مازن درويش وحسين غرير وعبد الرحمن حمادة وهاني زيتاني ومنصور العمري مجهولي المصير.

إننا، نحنُ مجموعة من الصحفيين والمدوّنين ومن أصدقاء المعتقلين والمتضامنين معهم، نطالب بالإفراج الفوري عن معتقلي المركز السوري للإعلام وحرّية التعبير، وعن كل المعتقلين في سجون القمع والاستبداد، كما ندعو الأحرار للتضامن مع قضيّة حجز الحقوق والحرّيات في سوريا ورفع الصوت عالياً ضدّ الاستبداد وضد المتواطئين معه.

ينشر هذا البيان بالتزامن في العديد من المدوّنات والصفحات، نرجو من الموافقين عليه إعادة نشره في مدوناتهم وصفحاتهم.

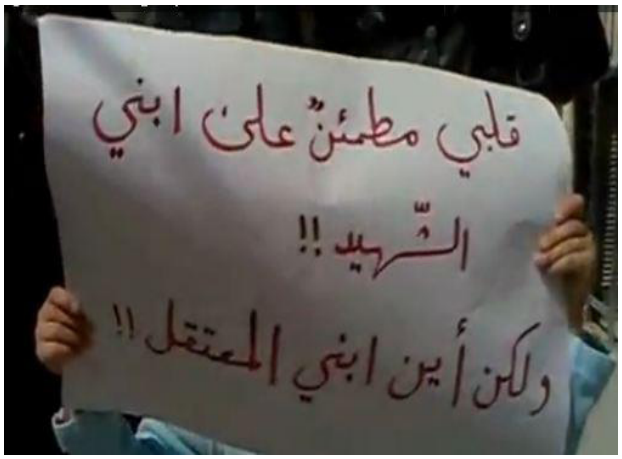

مهرجان برلين يتضامن مع الثورة السورية

في مناسبة اليوم العالمي للكتاب، اصدر مهرجان برلين العالمي للأدب بياناً دعا فيه المثقفين والأدباء والفنانين والمؤسسات الثقافية والمدارس والجامعات ومحطات الإذاعة والتلفزيون في العالم للمشاركة في ٢٣ نيسان (ابريل) بقراءة عالمية لمقتطفات من كتاب الروائية السورية سمر يزبك الصادر حديثا بالعربية والفرنسية والانكليزية والألمانية، وعنوانه «تقاطع نيران: من يوميات الانتفاضة السورية»، وقد دونت فيه الأحداث التي جرت في سورية منذ بداية الانتفاضة السنة الفائتة. وجاء في الدعوة: «نقدم هذه القراءة مسبوقة بدقيقة صمت إجلالاً لضحايا الثورة في سورية، آملين رؤية نهوض دولة حرة وديمقراطية وعلمانية مدنية في هذا البلد».

وجاء في البيان الذي وقّعه عدد كبير من الكتاب العالميين والعرب: «ردت الحكومة السورية على التظاهرات السلمية بمهاجمة المدن عسكريا، ناشرة الرعب والقتل. وزرعت الفتنة بين الطوائف وبثت الشقاق داخل المجتمع والجيش. فاضطر الجنود الذين لم ينصاعوا إلى أوامر قتل المواطنين العزّل إلى الانشقاق وتأسيس جيش سورية الحر الذي يسعى إلى حماية المواطنين والدفاع عنهم. واعتمدت قوات الأمن الأسلحة الثقيلة للقتل والتدمير، فحُوصرت المدن ونُهبت واغتُصبت النساء كما اعتُقل الشباب وعُذبوا وقُتلوا في السجون. وتؤكد إحصاءات منظمات حقوق الإنسان أن أكثر من ١٠٠٠٠ مواطن على الأقل لقوا حتفهم منذ بداية الانتفاضة. واليوم، بينما تصارع الحضارة السورية وبصارع تاريخها الثمين للبقاء على قيد الحياة، يكتفي العالم بمشاهدة الأعمال العسكرية لقوات الأسد. لذلك يهدف نشاط اليوم العالمي للكتاب إلى فضح الصمت والحث على إزاحة الأسد عن السلطة وإرساء قواعد دولة تتمتع بالحقوق المدنية العلمانية وبالحرية وبالديمقراطية».

ومن الكتاب الموقعين وهم كثر: بول اوستر، نعوم تشومسكي، راسل بانكس، نادين غورديمير، خوان غويتسولو، نديم غورسل، الفريدا يلينيك، جوناثان ليتل، البرتو مانغويل، ماريو فارغاس يوسا... ومن الكتاب العرب: سمر يزبك، زكريا تامر، سليم بركات، رفيق شامي، رزان زيتونة، الياس خوري، يوسف عبدلكي، علاء الاسواني، هدى بركات، صنع الله إبراهيم، جمال محجوب، عيسى مخلوف، بوعلام نصال، صموئيل شمعون.

أوجـــاع وطـــن

خبراء توثيق الموت من أمثالنا، لا يبكون

■ رزان زيتونة

أحتاج إلى مشاهدة المزيد من مقاطع الفيديو الخاصة بالشهداء للتأكد من اسم الشهيد وتفاصيل استشهاده.. يومياً العشرات، وفي أوقات التدقيق الدوري لقواعد البيانات، مئات خلال ساعات اليوم القليلة. معدل مشاهدة الفيديو الواحد دقيقة واحدة. خلال ساعة بالإمكان مشاهدة ستين جثمان، إلا إذا كانت المقاطع تعود لمجازر جماعية، فالرقم يضرب بأضعاف.

جثمان بعد جثمان، بعضه في الكفن والآخر لا يزال ملفحاً بجراحه ودمائه. بعض الوجوه يبدو عليها الذعر والدهشة.. أهذا أنت أيها الموت؟ وجوه أخرى تخالها نائمة لشدة ما يبدو السلام على معالمها.. بعضها جميل ببشرة ناعمة وأفواه صغيرة مزمومة، وشبح ابتسامة ذكية. الشهداء الأطفال، وعبثهم الأبدي بأرواحنا.

الشهيدات هن الأقل حضوراً في مقاطع الفيديو، يتعين عليك على الأغلب أن ترسم ملامح الشهيدة من المخيلة. الشهيدات يرحلن بصمت على اليوتيوب. غالبا لا يتاح لنا حضور طقوس الألم في لحظات الغياب الأولى.

لكن أقسى المقاطع تبقى للشهداء يلفظون أنفاسهم الأخيرة. في تلك الحالات تجد نفسك مرغما على احترام لحظاتهم تلك وعدم الانتقال إلى فيديو آخر وتوثيق جديد. عليك أن تمسك يد المسجى أمامك على شاشة الكمبيوتر، تمعن النظر في عينيه حتى لو كان الألم يقتلع عينيك، وتسمع حشرجاته الأخيرة. لعله يقول شيئا بلغة المساحة ما بين الحياة والموت. لعله يرسل اعتذارا إلى حبيب أو اشتياقا إلى أم. لعله فقط يغني.. تود لو تصغي.. لكن المحيطين بالجسد المنتفض بألمه لا يتيحون فرصة لتلقي رسالته. يتصارخون حول المصاب: انطق الشهادة، انطق الشهادة.. لو أنني مكانه، لربما تمنيت لو يخبروني أنني سأعيش أيضاً وأيضاً، وأن أغلق عيني على أمل جميل بالعودة إلى أحبتي. أو أن يضمني أحد في لحظاتي الأخيرة ويمسح رأسي بصمت.

أكثر من ذلك أن معظم تلك المقاطع تنتهي عادة قبل رحيل الروح عن صاحبها، وتبقى حشرجاته الأخيرة في الذاكرة من غير الحصول أبدا على سكينة الموت.

مقاطع قليلة لشهداء سجلوا كلمة مصورة قبل رحيلهم. بعضها لا يحتوي إلا نظراتهم وبضع كلمات إلى أحبتهم. عبد المهيمن اليونس يتمدد على العشب أمام بندقيته، يلهو بأعواد الأرض بأصابعه بنزق. يطلب إلينا إن رحل الترحم عليه، ثم يقول أنه اشتاق لأمه، ونكاد نرى الدموع في عينيه. لكن أبطال الجيش الحر لا يبكون، لذلك يشيح بوجهه عن الكاميرا ويطلب من المصور وقف التصوير.

أود لو أنشج بالبكاء كلما استعدت تفاصيل المقطع، لكنني لا أفعل، خبراء الموت أيضاً لا يبكون.

لا يستجدي دمعهم حتى مقطع الأب في مدينة الرستن وهو يركض كالمجنون، يحمل بين ذراعيه طفله الذي تحول جزأه السفلي إلى هيكل عظمي بفعل القذيفة خارقة الذكاء، التي تركت الرأس بوضع أفضل حالا ليتمكن الأب من تمييز ولده والمسح على شعره للمرة الأخيرة.

قصة الآباء والأبناء قصة أخرى في مقاطع الشهداء المصورة. على الأغلب في حال تواجد العائلة، تحيط أجواء النواح والنشيج والولاويل من حناجر احرقها الألم، الأم ترفع الدعاء إلى السماء بأن يذيق القتلة حرقة قلب الحرمان من فلذة أكبادهم، والأبناء يرفعون الدعاء للسماء بأن يذيق القتلة لوعة اليتم والفقد.

أحد الأطفال أدهشني بإصراره على أن والده لم يرحل، فعيناه تحدقان في عينيه، وما فتأ يخبر المتحلقين حول الجثمان، بأنه حي، والله عايش، مفتح عيونه!

بعض الأمهات القليلات يخدعننا أو يحاولن. يودعن الابن بلا دمعة، بصوت خافت وبكثير من الهدوء. وكأن الجبل يتحدث من قمته أو الوادي من عمقه، يحتسبنه عند الله شهيدا، ويدارين الألم لا أدري أين أو كيف. هؤلاء أحبهن بعمق، خبراء توثيق الموت يعرفون جيدا ماذا يعني أن لا يتمكن المرء من البكاء حيث يتوجب عليه ذلك. أوليس العويل في مثل تلك اللحظات حق أساسي من حقوق الإنسان غير قابل للتنازل، سقط سهواً من المواثيق الدولية؟

تفاصيل الموت لا تنتهي، الآلاف منها في آلاف المقاطع المصورة. خبراء توثيق الموت من أمثالنا لا يبكون، يكتفون بالمشاهدة بأفواه فاغرة وجبين مقطب، وفي لحظات معينة، يسمعون صوتاً يعوي داخلهم. ولا يكفون عن التساؤل، إن كانوا، هم من يوثقون الموت عبر شاشات أجهزتهم، أو أولئك من يوثقونه بأصابعهم وعيونهم، سيعودون يوما ما كائنات «طبيعية»، أم أن الموت ضمهم إلى برزخه حتى النهاية.

العلاقات السورية التركية

بين أحلام السوريين وأحلام الخلافة

■ ياسر مرزوق

إن قصة أي حدث سياسي يصعب فهمها ما لم توضع داخل إطارها، فإذا سلخت منه أصبحت روايتها بالسكين وليس بالقلم فكل مسرحية تحتاج إلى أرضية تجري فوقها الحركة، وإلى خلفية تعطي تأثيرات الظروف على أجوائها، وأرضية السياسة هي الجغرافيا وخلفيتها التاريخ، هكذا توضع الأحداث في زمانها ومكانها.

مع مرور عام ونيف على ولادة الثورة السورية آنَ لنا أن نقر بأن عنصر القانون في أي أزمة ليس هو ضابط إيقاعها وإنما ضابط الإيقاع حقائق القوة، ولست هنا في معرض الاستهزاء بالقانون أو مصادره " من العرف والتقاليد والأخلاق والمبادئ الطبيعية.... "، إنما هي طبيعة الأشياء في السياسة الدولية، فالقانون ليس سيداً في صراعات العالم، لكن حقائق القوة لها السيادة طوال الوقت.

في ملفنا اليوم نطل على العلاقات السورية التركية، تركيا الجار اللدود لأمة باتت مسلحة للاقتتال وليس للقتال، أمةٌ غاضبةٌ بغير كبرياء، وحزينةٌ بغير أمل، وعالمٌ بأكمله يتفرج، وبعض قواه النافذة لا تطفئ نارا، ولكن تزيد النار اشتعالا، تلهو بمحنة الأمة، وتنفذ من خلال صفوفها المبعثرة إلى تحقيق مطالبها وأطماعها، الجار التركي يدق كل طبول الحرب التي عثر عليها، ويكتفي بالضجيج، فما تقدمه تركيا من دعم مزعوم للمعارضة السورية له ما يبرّر ضعفه في لعبة السياسة ولعبة المصالح، أما أن يصرح وزير خارجيتها بحاجة بلاده لمساعدة مالية لإيواء اللاجئين السوريين، والاقتصاد التركي هو الأقوى في محيطه فليس له ما يبرره، من هنا قد لا يكون من المغالاة اعتبار الموقف التركي من الأزمة السورية لعبة انتخابية، فتصريحات الثنائي أوغلو-أردوغان تأتي على وقع الانتخابات البرلمانية التركية المحسومة لصالح حزب العدالة والتنمية برئاسة أردوغان الساعي لاحتلال منصب الرئاسة في البلاد وليس بدواعي الوقوف إلى جانب الشعب السوري، وعن الخبير في الشأن التركي محمد نور الدين ننقل " من أساليب حزب العدالة والتنمية لبلوغ غاياته الانتخابية، مواقفه المحتضنة للمعارضة السورية بهدف كسب المزيد من الأصوات الإسلامية الإضافية، تحت شعار أن المسلمين يذبحون في سورية". ويذكر نور الدين في مقالة له في جريدة السفير أن تركيا مستمرة "في سياسة التوازنات بين الغرب (الأطلسي وإسرائيل) والشرق، والاستمرار في التفاعل الاقتصادي مع مراكز القوى العالمية وممارسة أدوار الوساطة حيثما تيسر".

مع بدايات الثورة السورية تحمس الطيف المعارض لتصريحات أردوغان، إلا أن ما اتضح لاحقاً أن دوافعه كانت مزيجاً من الإيديولوجيّة والتكتيك المتعمّد. فالنزعة الأبويّة لحماية المسلمين لها صلةٌ بحاجةٍ سيكولوجيّةٍ لدى الديمقراطيّين الإسلاميّين بعد تحولهم إلى محافظين لإثبات أنهم لا يزالون متمسّكين بالتزاماتهم الأخلاقيّة تجاه الأمّة "الإسلاميّة". إذ يعاني كوادرُ العدالة والتنمية، وكذلك المجموعاتُ التي لا تزال تتبع الإسلامويّة، من انعدامَ أسس إيديولوجيّة مشتركة توحّدهم فوجدوا في القضية الفلسطينية ومن بعدها الربيع العربي ضالتهم. دون أن يخطر ببال أحد ممن شارك في الثورة السورية أن تتحول مطالب الشعب السوري بالحرية والعدالة لورقةٍ انتخابية يستخدمها الأتراك متى شاءوا.

تاريخ العلاقات التركية السورية

دخل العثمانيون دمشق عام 1516 تحت شعار إحياء الخلافة، ورفع ظلم المماليك عن الشعوب، وخرجوا منها عام 1918، مسلمين الراية لمحتل جديد، مخلفين في ذاكرة السوريينَ مرارةً لا يمكن محوها فعندما اجتاحت جحافل العثمانيين أرض العرب، لم يكن ثمة فارق حضاري كبير بين العرب وأوروبا، بالرغم من الضعف الكبير الذي كان يعتور الأمة العربية. وكانت القبائل التركية تفتقد لأبسط أسس التقدم الحضاري التي كان العرب وغيرهم من الأقوام الإسلامية قد خبروها وطوروها على مدى ألف عام تقريباً قبل العثمانيين. ويمكن أن نلحظ أن الدول الأوروبية الشرقية التي حكمها العثمانيون تتأخر خلف أوروبا الغربية والوسطى بالنسبة نفسها التي رزحت فيها تحت التخلف العثماني. والأهم هو أن تعميق التعفن الحضاري وإعادة إنتاجه في الظل العثماني كان عامل الضعف الأهم الذي سمح للاستعمار الأوروبي أن يستخدم تقدمه العلمي والتكنولوجي والاقتصادي والثقافي ليخترق الوطنَ العربي كما تخترق سكينٌ حادةٌ خرقةً بالية. فالعثمانيون لم يحافظوا على سيادة الأمة إزاء الاستعمار الأوروبي كما يبدو في الظاهر، بل هيئوا أفضل الظروف لهيمنة الاستعمار الأوروبي من خلال إنتاج كل عوامل الضعف الداخلي، الحضاري والاجتماعي، التي تنزع من الأمم عناصر قوتها وتجعلها أعجز من أن تتمكن من المقاومة.

مع خروج العثمانيين من سوريا بالتزامن مع نمو المد القومي العربي المعتمد على الصراع مع الفكرة الطورانية والتشهير بسياسة العثمانيين الأتراك وتحميلهم مسؤولية انحطاط الثقافة والحضارة العربيتين. طبعت العلاقات بطابع العداء الدائم تقريباً منذ تكوين الجمهوريتين، منذ مطلع القرن الماضي حتى سنوات قليلة سابقة. وإذا كان هذا العداء قد تركز في بداية الاستقلال السوري على ذكرى الاضطهاد العثماني ثم ضم تركيا مقاطعة لواء اسكندرون عام 1938، فإنه لم يلبث حتى شمل قضايا أخرى، أهمها الاختيارات الإستراتيجية المتعارضة للبلدين، الأطلسية في تركيا واليسارية في سوريا. وفي هذا الإطار دخل البلدان أكثر من مرة في حالة نزاع كادت تفضي لمواجهة عسكرية. ولا شك أن الخوف من اجتياح عسكري تركي لسوريا عام 1957 قد لعب دوراً كبيراً في دفع الضباط السوريين المتنافسين على السلطة في دمشق إلى توقيع اتفاقية الوحدة السورية المصرية عام 1958. وقد اتهمت مصر حينئذ أنقرة بالعمل لصالح الولايات المتحدة وبريطانيا لقلب الحكومة السورية القائمة، وهي حكومة ليبرالية، في إطار سعيهما المشترك لفرض "حلف بغداد" على العرب في إطار الحرب الباردة. وقد نظر الغرب إلى حكومات سوريا، منذ حرب السويس وتدمير أنابيب نفط العراق المارة عبر الأراضي السورية، على أنها حكومات خاضعة لضغط اليسار وسائرة بتوجيهه، خاصة بعد أن عقدت دمشق صفقة شراء السلاح من تشيكوسلوفاكيا عام 1955 وتقربت من الاتحاد السوفييتي في عهد رئيس الوزراء خالد العظم. ولم تكن الحال أفضل مع حكم البعث لسوريا والذي كانت بداياته يسارية عروبية متطرفة،

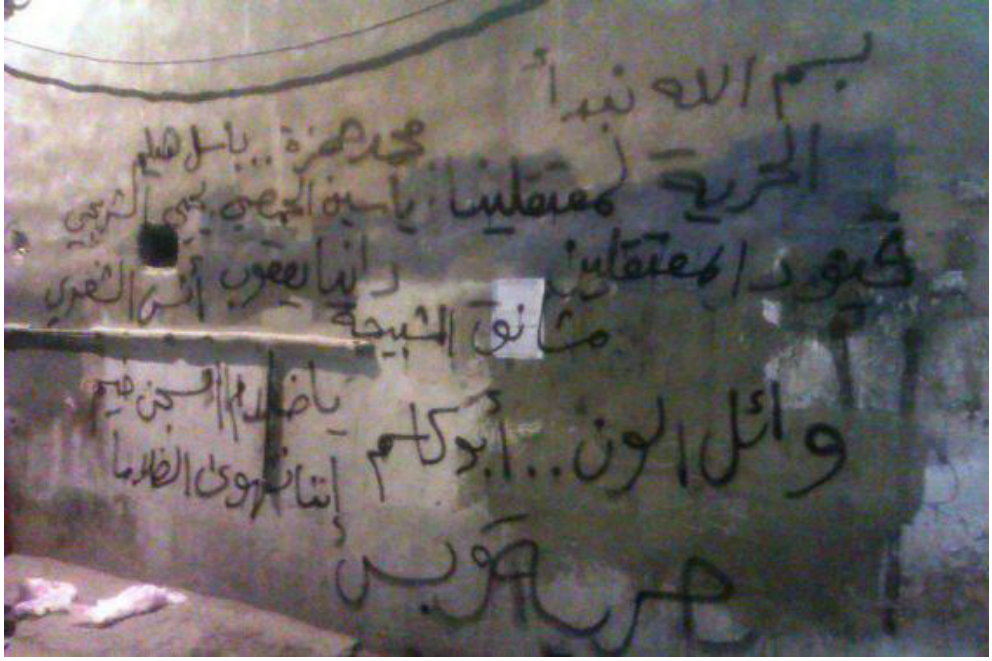

وقد تصاعد النزاع السوري التركي في التسعينيات، واتهمت دمشق أنقرة بحجز مياه الفرات، وإرسال مياه ملوثة عبر النهر، وتجفيف نهر الخابور، وطالبت بتوقيع اتفاقية لتقاسم المياه على أسس دولية. وتصاعدت حدة الخلاف بسبب التعاون العسكري المتنامي بين تركيا وإسرائيل، واعتبرت دمشق أنقرة عاصمة معادية للقومية العربية ومتحالفة مع خصومها. ووصل النزاع ذروته عام 1998 عندما هددت تركيا باجتياح الأراضي السورية لوضع حد لهجمات "حزب العمال الكردستاني" الذي كان يتلقى الدعم من سوريا. لكن خروج أوجلان من سورية وتهديد ليبيا بطرد الشركات التركية من أراضيها منع أنقرة من تنفيذ تهديدها. وأسفرت الأزمة عن توقيع اتفاقية "أضنة" التي قبلت دمشق بموجبها وقف التعاون مع "العمال" الكردي، وتراجعت عن المطالبة التاريخية باسترجاع الاسكندرونة الذي كان نقطة خلاف دائمة بين دمشق وأنقرة.

مرحلة الرئيس بشار الأسد

مع حكم الرئيس بشار الأسد تطورت العلاقات بين البلدين على قاعدة أن ما أفسدته السياسة والتاريخ يصلحه الاقتصادي فوصلت العلاقات قبل اندلاع الثورة السورية بنحو أربعة أشهر إلى مستوى القمة، إذ وقع الجانبان خلال الفترة الماضية على عشرات الاتفاقيات وتم فتح الحدود وإلغاء تأشيرات المرور، وباتت البضائع التركية تزاحم السورية في أسواق حلب ودمشق وحمص وحماه والقامشلي ودير الزور... ومارس الجانبان معاً سياسة مشتركة هدفت إلى منع إقامة كيان كردي في المنطقة، وارتبط الرئيس بشار الأسد ورئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان بعلاقة خاصة قوية ترجمت بعشرات الزيارات بينها العائلية، وشكل البلدان المجلس الأعلى الاستراتيجي للعلاقات، وللمرة الأولى في التاريخ العلاقات بين البلدين تطورت العلاقات العسكرية بينهما إلى درجة أن الجيشين السوري والتركي أجريا مناورات مشتركة بعدما كان الجيش التركي طوال العقود الماضية يرتبط بعلاقات وثيقة مع إسرائيل وعلى شكل تحالف ضد العرب. ولعل ما أوصل العلاقات بينهما إلى هذا المستوى المتطور، جملة من العوامل، أهمها:

1- الانفتاح السوري الكبير على تركيا والرهان على وجود سياسة تركية مغايرة تجاه العالم العربي في عهد حزب العدالة والتنمية، إلى درجة أن دمشق رفضت مراراً أي وساطة سلام مع إسرائيل إلا من خلال الوساطة التركية التي تولاها أردوغان شخصياً.

2- تطور العلاقات الثنائية بين البلدين في مختلف المجالات الاقتصادية والأمنية، وقد كانت تركيا المستفيدة الأولى من هذه العلاقة، نظراً لأن سوريا شكلت بوابة اقتصادية لتركيا إلى العالم العربي، فيما على المستوى الأمني كانت للجهود السورية دورا كبيرا في الحد من نشاط حزب العمال الكردستاني في المنطقة، فضلا عن العمل المشترك لمنع إقامة دولة كردية في منطقة الشرق الأوسط.

3- الحرص السوري على عدم إثارة الخلافات التاريخية مع تركيا، كمشكلة الحدود ولاسيما لواء اسكندرون والمياه وغير ذلك من الخلافات التي كانت تحكم العلاقات بين البلدين قبل تحسنها في العقد الأخير، هو ما انصب أيضا لصالح السياسة التركية الداخلية والإقليمية وعززت من الموقف التركي.

4- إن مجمل السياسات السابقة سرعت من وتيرة تسويق الدور التركي في العالم العربي، وقد اتقن أردوغان فن التصريحات والخطابات الإعلامية على شكل تسجيل مواقف سياسية من بوابات فلسطين والعراق... لجذب عواطف وقلوب الملايين في العالم العربي المتعطش إلى قائد بكاريزميته السياسية، فكان له ذلك وأكثر، إلى درجة ان البعض وصفوه بالمنقذ والقائد العربي الأول، بل طالب البعض بالعودة إلى الخلافة العثمانية وتقديم الاعتذار لتركيا عن تحالف العرب مع الغرب ضد الدولة العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى حيث يتهم الأتراك العرب بأن تحالفهم هذا كان السبب في انهيار الدولة العثمانية آنذاك.

5- إن العالم العربي الذي يعاني من أزمة حكم وأزمة سياسة وأزمة إدارة، وجد في التجربة التركية وتحديداً تجربة حزب العدالة والتنمية والقول أنها حققت مصالحة تاريخية بين الإسلام السياسي والعلمانية والاقتصاد وسط ضخ إعلامي لتسويق هذه التجربة.. وجد في هذه التجربة إلهاما للتخلص من أزماته المركبة. هذه العوامل والأسباب مجتمعة نقلت العلاقات السورية – التركية خلال فترة قصيرة من مرحلة السلبية والقطيعة إلى مرحلة من التكامل والقمة والثقة الكبيرة، إلا أنه ومنذ بدء الاحتجاجات في سوريا وبعد فترة قصيرة من تغيير النظام في كل من تونس ومصر وما يجري في اليمن وليبيا والبحرين والأردن... بدأت هذه الصورة تنزاح من مشهد العلاقة السورية - التركية تدريجياً ليحل محلها الشك والحذر والقلق، فبالنسبة للنظام السوري ثمة حالة من الحيرة والارتياب إلى درجة القلق من السلوك التركي خاصة بعد أن ظهر المراقب العام لحركة الإخوان المسلمين في سوريا "محمد رياض الشقفة" في اسطنبول مراراً ودعوته من هناك المحتجين في سوريا إلى التظاهر ضد النظام وكذلك التلويح التركي المستمر باللجوء إلى الخيار العسكري، إذ يقول مسؤول سوري " لم يكن متوقعاً أن يتحول الصديق التركي المدلل إلى هذه الدرجة من الوقاحة، هذا الصديق الذي كان حتى وقت قريب أحد مناصري قضايانا الوطنية والقومية – موقع كلنا شركاء ". في المقابل فان تركيا حزب العدالة والتنمية والتي لها تجربة إصلاحية مميزة ترى أن أداء النظام السوري في التعامل مع الاحتجاجات لا يمكن أن يكون هكذا، كما لا يمكن إدارة الأمور بهذا الشكل، كما أن مجمل الخطاب التركي أبدى عدم الرضى عن وتيرة الإصلاحات التي شرعت بها القيادة السورية، إلى جانب هذا النصح " المدرسي " المتواصل ثمة تهديدات مبطنة أطلقها أردوغان مرارا، فلسان حاله لا يتوقف عن القول: لن نسمح بتكرار " حماه ثانية " في إشارة إلى أحداث حماه عام 1982 بين النظام السوري والإخوان المسلمين وهو ما يثير هواجس كبيرة للنظام من حضور البعد الطائفي في السياسة التركية تجاه سوريا خاصة بعد إشارة أردوغان إلى طائفة الرئيس السوري بشار الأسد ومقارنتها بطائفة زعيم المعارضة التركية كمال كيلجدار أوغلو زعيم حزب الشعب الجمهوري، حيث تشير التقارير إلى ان عدد العلويين في تركيا من أتراك وأكراد وعرب يقارب نحو عشر ملايين نسمة، وهو رقم كبير جداً وقادر على أن يؤثر في معادلات الداخل التركي ويعيد خلط الأوراق السياسية في لحظة ما إذا ما تطورت الأمور أكثر. بموازاة انقلاب الصورة، ثمة أزمة صامتة بين دمشق وأنقرة، فسورية تبدي انزعاجاً شديداً من الإلحاح التركي والمطالبة الدائمة بضرورة فعل كذا وكذا على شكل توصيات ملحة تقترب على حد تلقين التعليمات والأوامر، فيما أس المشكلة بالنسبة للجانب التركي ربما يعود إلى رفض النظام في سوريا التفاوض مع حركة الإخوان المسلمين كما تطلب أنقرة، وترى دمشق أن ذلك خط أحمر كما هو حال حزب العمال الكردستاني بالنسبة لتركيا، وفي شهر آب من عام 2011 صعدت تركيا انتقاداتها تجاه ما تقوم به الحكومة السورية لقمع الثورة السورية، وهدد رجب طيب أردوغان بأن صبر أنقرة قد نفد إزاء القمع، وأضاف أنه سيوفد وزير خارجيته "أحمد داود أوغلو" لدمشق لنقل رسالة حازمة للنظام السوري. وفي اليوم التالي صرحت بثينة شعبان مستشار الرئيس السوري للشئون الإعلامية والسياسية: "إن كان وزير الخارجية التركي قادما لنقل رسالة حازمة إلى سوريا، فإنه سيسمع كلاما أكثر حزما بالنسبة للموقف التركي". وعادت العلاقات بين البلدين إلى المربع الأول.

كثيرون مازالوا يرون أنه سيكون لهذا الموقف تأثير بالغ على مستقبل الأزمة السورية ومصيرها في ظل الحدود الطويلة بين البلدين والتي تصل إلى نحو 800 ألف كلم و تداخل العوامل الاجتماعية والتاريخية والثقافية والأمنية والبشرية، في ظل الحديث التركي المتواصل عن أن الأزمة باتت شأن تركي داخلي. وعليه فان الأسئلة السابقة تشغل هاجس النظام والمعارضة ومختلف الأوساط السورية معاً، ولعل مرد ذلك هو السلوك التركي نفسه، وهو سلوك يزاوج بين متحيين و يظهر خطابين معاً، الأول: هو الإعلان المستمر عن الحرص الشديد على الإصلاح من خلال النظام وتحديداً من خلال الرئيس بشار الأسد والحفاظ على استقرار سوريا وأمنها ووحدتها. والثاني: يأخذ منحى التصعيد والتهديد بما في ذلك التلويح بالتدخل العسكري وإقامة منطقة أمنية عازلة بين البلدين على غرار ما جرى مع العراق في السابق، بل وحتى المشاركة في عمل عسكري إذا ما تطورت الأمور أكثر وذلك على غرار ما جرى مع ليبيا، حيث أشار رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان أكثر من مرة إلى أن تركيا لن تتخلف عن التحرك إذا ما اتخذ المجتمع الدولي إجراءات ضد سوريا في إشارة إلى إمكانية القيام بعمل عسكري ما ضد دمشق. فتركيا تتحرك تجاه المشهد السوري كأخطر لاعب إقليمي راقص، ترسل الموفدين من جهة، وتحتضن مؤتمرات المعارضة السورية وتؤمن المنبر الإعلامي للمراقب العام لحركة الإخوان المسلمين "محمد رياض الشقفة" من جهة ثانية، والأخطر من هذا وذاك وضع الخيار العسكري على الطاولة من جهة ثالثة.... كلها مؤشرات تؤكد على نهاية نظرية صفر المشكلات التي طرحها وزير الخارجية التركي "احمد داود أوغلو" وما سمي بنظرية العمق الاستراتيجي فحسب، بل العودة إلى ما قبل المربع الأول، أي إمكانية الصدام انطلاقا من جملة عوامل وأسباب كامنة تحت رماد التاريخ ومصالح السياسة والعلاقات الدولية والصراعات الجارية والتطلعات المستقبلة لخريطة المنطقة.

في النهاية تطل تركيا على وطننا الجريح، وتكتفي بالضجيج، وسوريا تدور في حلقة مفرغة. كل عائق يغذي العوائقَ الأخرى، ويزيدُ فيً حالةِ شللنا. وأعداد الشهداء تتصاعد، ويظلُ يقيني أننا في هذه المرحلة من حياتنا أمة تحتاج أن تفكر ثم تخطو من بين أطلال حاضرها وأنقاضه إلى أفق مفتوح ومستقبل جديد، دون المراهنة على أحد.

إعـــلام الثـــورة

■ خالد كنفاني

يعتبر التغيير من أصعب وأدق الامور التي تنشأ في حياة الأمم، وهو ما ينطبق على تغيير أنظمة المرور مثل انطباقه على تغيير أنظمة الحكم، الفارق يكمن فقط في التفاصيل، الكبير منها والصغير.

لا يمكننا إنكار أن التغيير الأعنف في سوريا كان المناداة بإسقاط النظام في الوقت الذي كان انتقاد مساعد في الأمن كفيلاً بتغييبك في أحد الأقبية المنتشرة في المدن والقرى حيث يقبع آلاف الأبرياء والقليل من المتهمين. كان ذلك التغيير بمثابة الزلزال الذي حرّك كل المياه الراكدة في البحيرة السورية، كما أن ارتداداته –وهي الأخطر- أظهرت العديد من جوانب الضعف في بعض المواضع مثلما أظهرت جوانب القوة في مواضع أخرى.

كان للإعلام النصيب الأكبر من تلك الارتدادات، ولا نقصد بالإعلام هنا الإعلام الرسمي وحسب، وإنما كل الوسائل المتاحة بين أيدي الناس للتعبير عن آرائهم وممارسة نشاطاتهم. وهذه المسألة أصبحت فيما بعد بالغة التعقيد بسبب تعقيد وسائلها وتنوعها الرهيب. فالثورة التكنولوجية التي بدأ العالم العربي يشهدها منذ بدء الألفية الثالثة لم يتم استثمارها سياسياً وإعلامياً إلا مع هبوب نسائم الربيع العربي ورياح التغيير في العالم العربي. وهكذا وجدت الأنظمة نفسها أمام أجهزة إعلام ومنابر ومؤسسات ومنظمات افتراضية لا مكان ولا عنوان لها، يتحاور فيها الناس بدون مقص الرقيب ولا أية أداة من أدواته، يتبادلون الأفكار تحت أسماء وهويات غير حقيقية في الغالب فكانت الأجهزة الأمنية كمن يطارد الهواء أو يعتقل الغيوم.

لم تكن سوريا بمنأى عن كل هذه "العوامل الجوية" الطارئة، فرياح التغيير وصلتها أيضاً، كما أن ينابيع الحرية التي بدأت تتفجر في الأرض السورية العطشى أطلقت العنان لمئات آلاف الناس بشن هجوم افتراضي كاسح على نظام الحكم وأجهزته الأمنية التي بدأت تدور حول نفسها مثل فيل يحاول الإمساك بذبابة (والمثل هنا للتشبيه فقط وليس للإسقاط). وانطلق السوريون المحرومون والمتعطشون لحرية الرأي والتعبير يؤسسون المجموعات والمواقع والهيئات والمنتديات والمنابر والصفحات بشكل فاق حد التصور، حتى أنه لا يوجد اليوم رقم دقيق لعدد الصفحات السورية على موقع واحد كالفيس بوك مثلاً، وخاصة أن عدداً كبيراً منها لا يزال يعمل بأسماء ومواقع مستترة. غير أن كل هذه الزوبعة الالكترونية وبعد مرور ما يزيد عن عام من الانتفاضة السورية بدأت تكشف الكثير والكثير من الوعي وعدمه، من الوطنية وعدمها، من الثقافة والجهل، ومن الرقي والانحطاط.

أتاحت الثورة السورية ظهور الكثيرين ممن كانوا مغمورين أو مجهولين في وسائل الإعلام المختلفة وعلى صفحات الانترنت، ووجد هؤلاء أنفسهم فجأة أمام ميكروفونات وتحت أضواء الاستديوهات وأمام مذيعين مقامرين أو مذيعات جميلات، وجدوا أنفسهم وقد بدأ من حولهم يتكلم عنهم بالاسم ويتابع أخبارهم فحاروا جواباً، وأسقط في أيديهم ولكنهم بالطبع لم يقبلوا التراجع فثقافة الاعتراف بالخطأ أو التقصير غير موجودة لديهم أصلاً، فبدؤوا بالإدلاء بالتصريحات بسبب وبدون سبب، وظهرت ردود أفعالهم تجاه مخالفيهم أو معارضيهم بشكل غير متسق ولا موزون، ووقفنا فجأة أما خطاب إعلامي يحترف التكرار كما يمارس الشتم والصراخ لأنه وجد أن الأغلبية من الناس تميل إلى هذا النوع من التعاطي، بينما كان هؤلاء "المعارضون" والذين لا يملون من تذكيرنا بأفضالهم على الثورة يسعدون لكثرة "معجبيهم" وهم لا يدركون أن المسؤولية التاريخية اليوم تقع على عاتق قيادات واعية ومتزنة عليها أن تكون رمزاً ومثلاً لكل السوريين لا لفئة منهم.

لم يكن أسوء من معارضي الخارج سوى معارضة الداخل التي هربت للخارج فيما بعد، فقد بدأ هؤلاء بفعل كل ما جبنوا عن فعله داخل الوطن، ونحن نقول جبنوا لأنهم كانوا بالفعل معارضين في الداخل أو هكذا سموا أنفسهم على حين غرة، وكانوا يكتبون ويصرّحون بالكثير والكثير ضد النظام في بدايات الثورة، إلا أنهم وعلى ما يبدو شعروا بالغيرة من "رفقائهم" في الخارج والذين لم يتركوا بلداً إلا وزاروه، ولم يتركوا فندقاً إلا ونزلوا فيه، فكان الإغراء هنا أشد وأقوى. وقبل أن أبدأ بتلقي الهجمات على هذا الكلام، فأنا أؤكد أن ذلك ليس تعميماً ولكنه انطبق على أكثر من حالة. تجدهم وقد وصلوا إلى أوروبا أو الولايات المتحدة، يبدؤون بالصراخ وصيحات التشجيع لثوار الداخل وكأنهم في مباراة لكرة القدم لا ثورة تحتاج وبعد هذ الوقت الطويل إلى من يقوّم مسارها ويحميها من الزلل والفوضى. تقف إحدى الناشطات من واشنطن لتلقي بالمواعظ على الناشطين في حمص بكيفية التعاطي مع المراقبين الدوليين، بينما يطل آخر من نيوجرسي ليصيح: هيا تقدموا لا تتوقفوا، وانزلوا إلى الساحات، بينما لم يشرح لنا ما يفعله على بعد آلاف الأميال ولماذا خرج بعد أن كانت الثورة قد عمت كل أرجاء سوريا وباتت بحاجة إلى كل جهد وإلى كل من يتوقع بنفسه القدرة على القيادة والتوجيه "الحقيقيين" لا الصراخ وحسب.

نحن لا ندعي اليوم أن هناك طريقاً واحدة للتعاطي مع هذه الثورة أو تلك، كما أن اختلاف الآراء في ذلك هو مسألة صحية، إلا أن ما نعيبه اليوم على أنفسنا وغيرنا هو الابتعاد عن الموضوعية وكذلك الانجراف وراء الشارع بأي ثمن، وإنه من المفهوم أن يعبّر الناشطون والمثقفون عن حاجة الشارع والجماهير، إلا أن الانفصام الذي كان حاصلاً بالأساس بين المثقف والجمهور طبع المرحلة الحالية بطابع غريب، فقد وجد المثقفون أنفسهم خلف الثورة وبدؤوا يجهدون للحاق بها ولم تكن وسيلتهم إلى ذلك إلا الصياح والشتائم وكأنه يرضي الجمهور على حساب الحكمة والمعرفة وهما أكثر ما تحتاجه سوريا ما بعد النظام وذلك للحفاظ على وحدة شعبها وتوازن مكونات هذا الشعب. أما استخدام ألفاظ "النبح" و"اللحس" والتخوين و"الأنا" و"ماذا فعلتم أنتم للثورة" فهي لا تنم عن ثقافة ولا وعي بأهمية وخطورة مسألة التوجيه والتمثيل. فإذا كان على الجميع اليوم أن ينزل إلى مستوى الشارع فلن يبقى من يرى الصورة كاملة وهذا ليس تقليلاً من دور الناس والتجمعات في الشارع، مثلما أنه وبالمقابل على القيادي أن يكون قريباً من الناس ليشعر بمشاكلهم ويرى حقيقة معاناتهم، أما القيادة عبر الهواتف المحمولة وراء المكاتب أو ضمن السيارات الفاخرة في طريق العودة للمنزل، فهذه مجرد "فشة خلق" لن يكون لصاحبها أي دور مستقبلي في أية قيادة، فالناس تبحث عمن يمثلها ويعيش بينها حقاً لا عمن يتابع معاناتها على قناة الجزيرة. من هنا نرى أمثلة لأشخاص مثل هادي العبد الله أو خالد أبو صلاح تكتسب شعبية كبيرة كانوا بالأساس زاهدين فيها، إلا أن وقوفهم مع جمهورهم والتعرض للموت ومشاركة مأساة الناس ومساعدتهم على الأرض فوراً هو ما يعطي الشرعية لشعبيتهم، أما الصياح من الدوحة وباريس وغيرها فلم يعد يلقى الصدى المطلوب اليوم، قد تكون هذه الأساليب آتت أكلها في بدايات الثورة، أما اليوم فالناس تبحث عمن يقودها ليس نحو الحرية وحسب، وإنما نحو المدنية والتحضر والعلم والتقدم.

هناك جانب مهم جداً في مسألة إعلام الثورة وهو هذا الكم من الصحف والمجلات التي يتجلى فيها إبداع أصحابها الذين لم يكونوا يوماً صحفيين متمرسين ولا كتاب محترفين، وإنما تفجرت مواهبهم الدفينة مع بدايات الثورة وتطورت أعمالهم لتغطي الفضاء السوري الرحب بأعمال خلاقة كان لها أثر كبير في نشر الوعي وكذلك تغطية الأحداث من منظور من يعيشونها، كل ذلك يكشف لنا فظاعة جريمة النظام الذي كبت كل هذه المواهب على مدى سنين وعقود إما اعتقالاً أو نفياً أو قتلاً.

إن المساءلة اللجوحة لكل من يعتبر نفسه "رمزاً" للثورة أو ممثلاً شرعياً لها هي مساءلة مشروعة، وهي تبعث برسائل إلى كل هؤلاء بأن سوريا المستقبل لن تكون كحاضرها ولا ماضيها، مثلما أن السوريين بعد عام 2011 لم يعودوا ذات السوريين قبله، وهذا الشعب الذي يُسقط اليوم أعتى الأنظمة وأشدها ظلامية ودموية لن يقف في طريقه أحد بعد ذلك، وتحية الناس لبعض المعارضين أو إبداء الإعجاب ببعضهم الآخر شيء وفعلهم لاحقاً على الأرض شيء آخر.

آخر الكلام:

يقول عنترة:

سَلي الذَيلَ عنّي يا ابنةَ مالكٍ
إنْ كنتِ جاهلةً بما لمْ تَعلَمي
يخبرْكِ منْ شهدَ الوقيعةَ أنّني
أغشى الوغى وأعِفّ عندَ المغنَمِ

واشنطن والنظام السوري: حقوق إنسان أم انتفاضة شعب؟

■ صبحي حديدي

أعود - دون كلل أو ملل، لأنّ الحال تقتضي، في يقيني، هذه العودة - إلى السجال بأنّ حزمة الأسباب التي تكفلت بإطالة عمر النظام السوري يتصدّرها سبب مركزي، وجوهري، ينتج متتالية أسباب ذات ترابط عال، بحكم تطابقها أو تقاطعها. ذلك السببُ هو أنّ الولايات المتحدة لم تحسم أمرها، بعد، بصدد قطع ما تبقى من شرايين تغذية (لها، غالبا، صفة المصل المؤقت)، تمدّ النظام بآجال بقاء، وأحياناً تشجّع لجوءه إلى تنفيذ هجومات مضادة، بين حين وآخر. في رأس المتتالية الناجمة يأتي الموقف الإسرائيلي، الحريص على تأجيل سقوط البيت الأسدي حتى ربع الساعة الأخير، الذي لا مناص بعده من التسليم بالمصير المحتوم؛ وكذلك الموقف الروسي، الذي لا مصلحة له في الحسم، بالطبع، ما دامت واشنطن ذاتها لا تحسم؛ ومثله الموقف الأوروبي، سواء على صعيد الاتحاد مجتمعاً، أو الدول فرادى؛ فضلاً عن مواقف الدول العربية الحليفة، التي تتقلب سياساتها على النار الأمريكية الهادئة إياها، مع فارق التسخين اللفظي الذي يخاطب القول أكثر ممّا يقارب الفعل.

لا جديد يُضاف، اليوم، إلى سلسلة الاعتبارات التي تحكم هذه المعادلة الأمريكية، ومتتالياتها الإسرائيلية والروسية والأوروبية والعربية، والتي سبق لي أن توقفت عند ثوابتها، ومتغيراتها، في مناسبات ماضية. ثمة، في المقابل، نفض للغبار عن بلاغة عتيقة، أو تجديد لصياغاتها لا يغيّر كثيراً في المحتوى الأصلي العتيق بدوره، وبعض المقررات (التي تبدو أرباع، وليس حتى أنصاف، تدابير)، على غرار ما أعلنه الرئيس الأمريكي باراك أوباما في خطابه الأخير، أثناء زيارته لمتحف الـ'هولوكوست' في واشنطن، حول فرض عقوبات على الجهات التي تزود سورية وإيران بالوسائل التكنولوجية المساعدة على تسهيل انتهاكات حقوق الإنسان في البلدين.

'ليست السيادة الوطنية رخصة للحكام كي يذبحوا شعوبهم'، قال أوباما وهو يقصد الإشارة إلى 'أي مجنون ينتهك حقوق الإنسان، ويرتكب الفظائع والإبادة، وأعمال القتل الجماعي'؛ واعداً الشعب السوري بـ'مواصلة الضغط' على الأسد، بهدف 'عزل نظامه أكثر'، وفرض مزيد من العقوبات، والتعاون مع 'أصدقاء سورية'. ولأنّ إيلي فيزل، حامل نوبل للسلام والقيّم على شؤون الـ'هولوكوست'، كان قد غمز من قناة أوباما وسياساته، ردّ الرئيس الأمريكي بالقول: 'بينما نحاول أن نعمل كل ما نستطيع، لا نقدر أن نسيطر على كل الأحداث. ونحن نحاول في سورية، علينا أن نتذكر أنه رغم كل الدبابات، وكل القناصين، وكل التعذيب، لا يزال السوريون يتحدّون في الشوارع. ولا يزالون مصرّين على إسماع مطالبهم للعالم. إنهم لم يستسلموا، ولهذا فإننا نحن أيضاً لن نستسلم'.

ولكي يذهب أبعد، أو يطلق عبارة أشدّ لهجة بالأحرى، أضاف أوباما أنّ العقوبات الجديدة خطوة أخرى 'نحو اليوم الذي نحن متأكدون من أنه آت، وهو يوم نهاية نظام الأسد الذي يذبح الشعب السوري'. ليس بفضل هذه العقوبات (التي لا تتذكر اللواء على مملوك، رأس جهاز المخابرات العامة، إلا اليوم... بعد أكثر من 14 شهراً على أعمال الذبح التي يتحدّث عنها أوباما!)؛ بل بفضل إصرار الشعب السوري على المضيّ بالانتفاضة حتى المتر الأخير الختامي من هذا المسار الشاق، الدامي، الذي كان محالاً فصار دانياً وشيكاً. وليس لأنّ النظام السوري لم يتوقف، ولم يرتدع، واستمرّ في تنفيذ المجازر حتى في المدن التي كان المراقبون الأمميون يتفقدونها (مدينة حماة، مثلاً، ومجزرة حيّ 'مشاع الطيار': 54 شهيداً، بينهم 13 طفلاً، و16 امرأة)؛ بل، بالضبط، لأنّ أفانين وحشية النظام لم تنفع، كلّها، في كسر إرادة الانتفاضة.

في المقابل، الأمريكي بدوره ولكن غير الحكومي، أو شبه الحكومي، نقرأ عن مؤتمر لـ 60 شخصية من المعارضين السوريين، يستهدف البحث في 'المواطنة والدولة المدنية الديمقراطية'، 'ينعقد على شواطىء البحر الميت في الأردن، وبدعوة من 'مركز القدس للدراسات السياسية'، ولكن بدعم من 'المعهد الديمقراطي الأمريكي'. وهذا معهد يسعى، وفق إعلان مبادئه، إلى 'تحسين الديمقراطية الأمريكية من خلال المشاركة المتزايدة، والفهم الأعمق للمسائل التي تؤثر في الحياة العامة، ومن أجل مواطنة أكبر في الشؤون العامة'. ما العلاقة، المباشرة على الأقل، بين أغراض هذا المعهد - الأمريكية الداخلية الصرفة، كما يلوح - ومسائل مثل: 'أي نظام سياسي لسورية المستقبل؟'، 'الدين والدولة'... حقوق الأفراد والجماعات... أسئلة الهوية والمواطنة والاندماج'، و'سبل التغيير في سورية... الفرص والتحديات'، و'ملامح مرحلة الانتقال إلى الديمقراطية'... التي ناقشها المؤتمرون على الشاطئ الشرقي للبحر الميت؟

الحال أنّ التناقض أو التطابق بين موقف 'المعهد الديمقراطي الأمريكي' وخطاب أوباما في متحف الـ'هولوكوست' أو الوقوع في منزلة بين منزلتيهما، هو السمة الغالبة، والأعرق بمعنى التكرار، لمعظم المقاربات الأمريكية لمسائل حقوق الإنسان ما وراء المحيط. الدليل الأفضل هو قراءة التقارير السنوية حول حقوق الإنسان في العالم، كما يدبجها مايكل بوزنر، مساعد وزيرة الخارجية الأمريكية لشؤون الديمقراطية وحقوق الإنسان والعمل، والتي تغطي أكثر من 190 دولة، حصيلة عمل ألف شخص ونيف، قرأوا ودققوا وكتبوا آلاف الوثائق... وفي كل مرّة، كان الحياء - أغلب الظن، وعلى سبيل حسن النيّة - هو الذي يدفع بوزنر إلى أن يغضّ الطرف عن تفصيل آخر يقول إنه قادم إلى المنصب من رئاسة المنظمة الحقوقية الأمريكية المعروفة Human Rights First، التي كان لها شرف المشاركة في إماطة اللثام عن سلسلة انتهاكات حتى داخل الولايات المتحدة ذاتها.

بيد أنّ العمل في وزارة خارجية دولة عظمى تمارس احتلالَيْن عسكريين، في أفغانستان والعراق؛ وتخوض ما تسمّيه 'حملة ضدّ الإرهاب' يمكن، وقد تمّ بالفعل، في سياقاتها انتهاك أيّ وكلّ حقّ؛ أمر مختلف عن العمل في منظمة غير حكومية. ولهذا فإنّ بوزنر، المساعد للوزيرة هيلاري كلنتون، شخصية أخرى لا تشبه، إلا في الاسم والملامح الفيزيائية، الشخص الذي سبق له أن فضح الممارسات البربرية في سجن 'غوانتانامو' وأبو غريب، ومثلها 'السجون الطائرة'، ومعسكرات الاعتقال السرّية هنا وهناك في العالم. وليس في الأمر أية غرابة بالطبع، فالمرء يفترض على الفور أنّ بوزنر وافق، عند قبول المنصب، على تعاقد يقتضي منه الدفاع عن سياسة الإدارة، لا انتقادها أو تفضيح أفعالها.

ذلك هو السبب في أنه يسارع إلى امتداح وزيرته، وقبلها رئيسه باراك أوباما، على الركائز 'الجديدة' التي اعتمداها في مسائل حقوق الإنسان: 'الانخراط المبدئي'، الذي يقوم على فهم العالم؛ وإخضاع جميع الحكومات، بما في ذلك الحكومة الأمريكية، إلى 'معيار كوني واحد'، و'الالتزام بالوفاء للحقيقة'، و'أكثر من أيّ أمر آخر نقوم به في الحكومة'. لا يكترث بوزنر، ولا الصحافيون حضور مؤتمراته، حول ما إذا كانت هذه الركائز جديدة، حقا، بادىء ذي بدء؛ وهل جديدها، أياً كانت طبيعته، جرى تطبيقه فعلاً في الفقرات التي تخصّ انتهاكات إسرائيل لحقوق الإنسان، أو حقيقة انتهاكات السلطات السعودية أو البحرينية، إذا وضع المرء جانباً تلك الوقائع التي تخصّ الولايات المتحدة أيضاً؟

خذوا، مثلاً، إجاباته الكلاسيكية حول الأوضاع في قطاع غزّة، وعمّا إذا كان توفير مياه الشرب الصحية والمأوى والدواء والمساعدات الإنسانية الأخرى، يدخل في عداد حقوق الإنسان التي يتوجب حمايتها: لقد عولجت قضية غزة في تقارير السنوات الماضية، من جهة أولى؛ وهذه، من جهة ثانية، قضايا 'عمرانية' و'بلدية' تخصّ حماية المدنيين بصفة عامة، و'من المعقد معالجة المسائل الإنسانية في مكان تسيطر عليه 'حماس' بشكل واسع. ذلك يجعل الجهد أكثر صعوبة!' في المقابل، يظل بوزنر طليق اللسان وهو يتابع هجاء انتهاكات حقوق الإنسان في الصين وإيران وكوبا، واتساع نزعات العداء للسامية في أوروبا والشرق الأوسط، والتضييق على المرأة في أفغانستان والصومال والسودان (ولكن ليس باللهجة ذاتها عند الحديث عن حقوق المرأة في السعودية!)، واتساع رقعة الدول التي تعتمد عقوبة الإعدام (وكأنّ أمريكا ذاتها ليست دولة إعدامات بامتياز: في ولاية تكساس، وحدها، بلغ عدد الإعدامات 451 حالة منذ سنة 1976).

وكيف للمرء أن لا يتفرّس في الحاضر على مرآة الماضي القريب، فيستعيد تلك البلاغة الظافرة التي طفحت في خطبة باولا دوبريانسكي، زميلة بوزنر في منصب مساعدة وزيرة الخارجية الأمريكية للشؤون العالمية، أيام كوندوليزا رايس وإدارة جورج بوش الابن، حين تحدّثت عن ولادة جديدة لحقوق الإنسان بأثر من 'ثورة زهرية' في جورجيا، و'ثورة برتقالية' في أوكرانيا، و'ثورة أرجوانية' في العراق، و'ثورة الأرزة' في لبنان؟ ورغم أنّ أحداً، أغلب الظنّ، لم يدرك تماماً سبب اختيار اللون الأرجواني للعراق، إلا إذا كانت دوبريانسكي قد قصدت الإشارة إلى عنف قانٍ هو نقيض الثورات السلمية، فإنّ مآلات الزهري والبرتقالي والأرزي صارت معروفة، مثيرة للشفقة على أهلها والشماتة في المراهنين عليها، في انتظار ما سيسفر عنه اللون الأرجواني من نهايات، أو بدايات بالأحرى.

وفي مناسبة مثل هذه التي شهدت تصريحات بوزنر، أي نشر التقرير السنوي لوزارة الخارجية الأمريكية حول أوضاع حقوق الإنسان في العالم، كان مدهشاً أن دوبريانسكي خلطت الحابل بالنابل، فانتقدت مستويات احترام حقوق الإنسان في روسيا وبيلاروسيا وكوبا والصين وكوريا الشمالية وبورما ولاوس وفييتنام وزيمبابوي وإيران والسودان ومصر والأردن وسورية والسعودية... وكأنها أنظمة متماثلة متشابهة. وكان مضحكاً، في المقابل، أن يلوّح مايكل كوزاك، سلف بوزنر في مكتب الديمقراطية وحقوق الإنسان والعمل، بفرض عقوبات اقتصادية على بعض الدول، بينها السعودية والصين! ولأنّ الولايات المتحدة لم تكن في أيّ يوم أفضل مَنْ يعطي البشرية الدروس والعظات والتقارير المفصلة حول احترام حقوق الإنسان، فإنّ موظفي الإدارة يصمّون الآذان تماماً عن أسئلة أخرى تتناول ما هو أدهى من تصدير تكنولوجيا انتهاك حقوق الإنسان: مناهضة الدكتاتوريات لفظاً، والسكوت عن فظائعها سرّاً... وعلانية أحياناً، حين تقتضي الحال!

ورغم أنّ النظام السوري هو، اليوم، رائد ما تبقى من أنظمة استبداد عربية، والأشدّ عنفاً بحقّ المجتمع، والأبشع انتهاكاً لحقوق الإنسان؛ فإنّ أهداف الانتفاضة السورية الراهنة أبعد بكثير، وأعمق وأهمّ، من مجرّد تحسين سجل النظام في مسائل حقوق الإنسان. البيت الأبيض، أسوة بالمتتاليات المتواشجة مع خياراته الراهنة، لا يدرك هذه الحقيقة الكبرى أقلّ ممّا يفعل السوريون؛ لكنّ الفارق يكمن ههنا، أوّلاً: هذه انتفاضة قرّر السوريون أنها لن تتوقف قبل إسقاط النظام، وما تبقى من الشوط أقصر بكثير من أن يطيل مسافته أي مصل، أمريكي أو إسرائيلي أو إيراني أو روسي...

القدس العربي 26 / 4 / 2012

الثورات لا تهدف تغيير الجغرافيا، إنها تهدف تغيير الإنسان

في دمشق يكبر زمن الثورة

■ عروة المقداد

في رد على مقال حسن عليق في جريدة الأخبار اللبنانية: دمشق خارج «زمن الثورة»
نشر في صفحة عربيات 18 / 4 / 2012

الحقيقة جلية وواضحة، لا تحتاج أحداً ليثبتها؛ نحن من نختار تجاهلها وإغماض أعيننا عنها. تلك مسألة أخلاقية تتعلق بكل مكوننا الثقافي والاجتماعي والإنساني. ومنذ بداية الثورة السورية اختار الكثر أن يكونوا عمياناً عن حقيقتها. حقيقة أنها ثورة حرية وكرامة وعدالة.

وها هو كاتبٌ آخر يختار أن يكون أعمى عن حقيقة الثورة السورية، فقد نشرت جريدة الأخبار اللبنانية للكاتب حسن عليق مقال بعنوان (دمشق خارج زمن الثورة). يبدو العنوان تهكمياً من البداية، يستخفُ بكل الأرواح التي زُهقت على يد نظام فاشيٍ وسفاح.

بداية المقال تشي بما يريد أن يقوله الكاتب: لا وجود للثورة في دمشق. هذا ما يردده الكثير من المثقفين والسياسيين مع الثورات في الوطن العربي وسورية تحديداً، وكأن الثورة لتكون عادلة تتطلب دخول مدينة ما لتصبح ثورة.

يبدأ الكاتب المقال بطريقة درامية يذكر فيها مروره بنقطة الجمارك بين سورية ولبنان، ساخراً من تغطية وسائل الأعلام السعودية في تعاملها مع الحدث السوري كما يقول، حيث يستظل موظف الجمارك بعدد من جريدة الحياة السعودية. لا تعدو الثورة من وجهة نظر هذه البداية سوى حدث! حدث استمر سنة وشهر أزهق زهاء 13620 ألف شهيد.

(لا شيء يوحي أنك على أرض انتفاضة) يتابع الكاتب في مقاله ويقول أيضاً (أن طريق الشام على حالها فالثورات لا تغير الجغرافيا). وذلك صحيح؛ لأنّ الثورات لا تهدف تغيير الجغرافيا، إنها تهدف تغيير الإنسان. طالبت الثورة السورية بذلك منذ بدايتها. يحلو للكثير من وسائل الإعلام والصحف تجاهل حقيقة أن الثورة السورية هي ثورة الإنسان الخائف والمنعزل على خوفه، وأن إسقاط النظام هو هدف مرحلي على طريق الثورة الطويل. لقد ثار الناس في سورية على الخوف الذي كان يسيطر عليهم طوال الأربعين سنة. وإن لم يستطع أن يرى الكاتب الحواجز الأمنية المحيطة بمدينة دمشق كحواجز المخابرات الجوية على مدخل طريق دمشق درعا – دمشق حمص، والتي تشكل فلينة تسد الحياة عن هذه المدينة، فلن يستطيع أن يرى التحول الذي أحدثته الثورة في نفوس السوريين.

يركز الكاتب في مقاله على الحياة الطبيعية التي تسود مدينة دمشق، فالمحال التجارية تستقبل زوارها، السير يتحرك بهدوء، والثورة فيها لا تعدوا قلق بادٍ على الوجوه. بالطبع ذلك ما سيشاهده الكاتب بمروره السريع في المدينة. ومن يريد الحقيقة لا بد أن يبحث عنها، ولأن الكاتب لم يكبّد نفسه عناء الدخول إلى حي برزة المحاط بالحواجز العسكرية فلن يجد سوى حركة طبيعية في شوارع المالكي وأبو رمانة وكفرسوسة والمرزة المحاطة جميعها بمراكز أمنية. لم ينتبه الكاتب ربما أن أحد أقدم المدن في العالم والمركز السياحي الأهم في المنطقة المعلم الأبرز فيها هو المراكز الأمنية. ولم يسمع الكاتب في حي كفرسوسة الذي يتربع فيه مركز إدارة أمن الدولة مخلداً ذكرى الخوف والرعب في ذاكرة السوريين الهتافات التي تطالب بإسقاط النظام، حيث سقط العديد من الشهداء في ذلك الحي. كما أن الكاتب لم يكلف نفسه عناء الذهاب إلى حي الميدان في مسائياته الحافلة بالمظاهرات التي يُهطلها الأمن والشبيحة بالرصاص. أما الريف فهو ليس في حسابات الكاتب، لأنه يدرك أن القلعة الأخيرة للنظام هي قلب العاصمة التي يسعى النظام بكل طاقته ليبقيها على طبيعتها. ولو جرب أن يتحدث حديث سياسي معارض في قلب مقهى الروضى الذي تسوده الحياة الطبيعية حيث الناس يضحكون ويبتسمون لكان اعتقل على باب المقهى كما حدث مع العديد من الناشطين الذين مازالوا مختفين إلى هذه اللحظة. ولو أن الكاتب كلف نفسه عناء الذهاب بضعة كيلوا مترات نحو مدينة جوبر ليرى الحواجز العسكرية التي تقطع أوصالها لكان تساءل: ترى في أي بقعة من العالم أنا؟ كان يكفي أن يركب سرفيس بعشر ليرات سورية ليرى عدد الحواجز العسكرية التي تفصل باب توما عن ما تبقى من عين ترما وسقبا التي لا تتجاوز المسافة بينهما أكثر من اثنان كيلو متر. أما دوما وداريا والحجر الأسود كل تلك المناطق ستحذف عن الخارطة السورية. كما اختار الكاتب أن يتجاهل كل من مدن درعا وحمص وإدلب ودير الزور ليدلّل أن النظام متماسك طالما أن العاصمة متماسكة.

يعود الكاتب ليؤكد رواية النظام حول المجموعات الإرهابية المسلحة عن طريق ذكر ما يقوله المسؤولون السوريون حول انضمام المجموعات المسلحة إلى المعارضة والتي تعيث فساداً في البلاد. مدهش! دعوني أستخدم تعبير الراحل غسان كنفاني في التهكم على تلك الرواية الهزيلة التي لا أستغرب أن يذكرها النظام السوري ولكنني أستغرب أن يتشدق بها صحفي لبناني ينبري في تلميع صورة النظام. الكاتب ربما لم يسمع بالشهيد الملازم أحمد خلف، أحد أفضل القناصة في صفوف الجيش العربي السوري الذي انشق في بداية الثورة السورية منضماً إلى صفوف الجيش الحر. إنه لم يسمع أهالي درعا كيف يتحدثون عن هذا البطل الذي غامر بكل شيء ليكون مع أبناء شعبه. إنه لا يرى تلك الملحمة الرائعة للثورة السورية. ابن الرستن يدافع عن مدينة درعا ومن ثم يعود إلى مدينته ليستشهد هناك. ويبقى المنشقون عن الجيش مجموعات إرهابية طالما أنهم رفضوا إطلاق الرصاص على أبناء شعبهم من وجهة نظر الكاتب.

على المستوى السياسي، تقول المقال، (عادت ألوان وجوه المسؤولين السوريين إلى سابق عهدها. حتى أكثرهم تشاؤماً صار أكثر اطمئناناً إلى المستقبل). لا مكان في هذه المقال لجوه اليتامى والأرامل الممتلئة بالبكاء على الشهداء، خوفهم من اقتحام الشبيحة والأمن لمنازل الناشطين السلميين. ربما يجب أن نذكر الكاتب بقائمة طويلة من أسماء النشطاء المعتقلين في أقبية فرع أمن الدولة والمخابرات الجوية والأمن العسكري وأقسام الشرطة، وكان يكفي أن يفتح الفيس بوك ليرى المئات من صفحات الحرية لأبناء مدينة دمشق من طلبة وجامعين ومثقفين وأطباء ومهندسين. يقول الكاتب أنه لا نشاط أمني يذكر في العاصمة! وأنه لا وجود لعناصر الفرقة الرابعة خارج ثكناتها! في حين أن أرتال الدبابات ممتدة في أنحاء سورية تقوم عدسات الناشطين وأبناء المناطق بتصويرها. أستطيع أن أقول ذلك ما يُدعى العهر الإعلامي الذي ينقطع عن الواقع ويقوم بتجميله تبعاً لمصالح شخصية أو فكر مشوه.

يُختتم المقال بهذه العبارة: في دمشق، الزمن ليس زمن ثورة. والسلطة مطمئنة إلى مستقبلها ومستقبل بلادها. لكن من بيدهم الأمر يتحدثون بواقعية: الأزمة طويلة ولا تُقاس بالأشهر.

ولعل هذه النقطة أحد أكثر التناقضات الغريبة في المقال: أزمة طويلة، ومجموعات إرهابية تعيث فساداً في البلاد، واغتيالات لشخصيات دينية ولمسؤولين سياسيين مطمئنين. نحن لا نستغرب اليوم من رواية النظام ولكننا نستغرب كيف تتحول وسائل إعلامية إلى جزء من برواغاندا هزيلة. لقد أعمت التبعية والولاء الكاتب، الولاء الذي يقول عنه جورج أورويل في روايته 1984 الولاء يعني اللاوعي، أعمته عن الحقيقة الجلية والواضحة.

إن ثورتنا هي ثورة الحرية والعدالة والكرامة. وبالرغم من التعامل المجحف للقنوات الإعلامية والصحف مع هذه الثورة إلا أنها لم تغير الواقع على الأرض. وبالرغم من محاولة تلك الوسائل أن تجعل هذه الثورة فقاعة إعلامية، خبر تلوكه الألسن، إلا أن الثوار مستمرين في ثورتهم لا يردعهم عن ذلك قنابل نظام قاتل ودموي، فهل سترعبهم مثل هكذا مقال!.

الافتراء في التشريع السوري

■ ياسر مرزوق

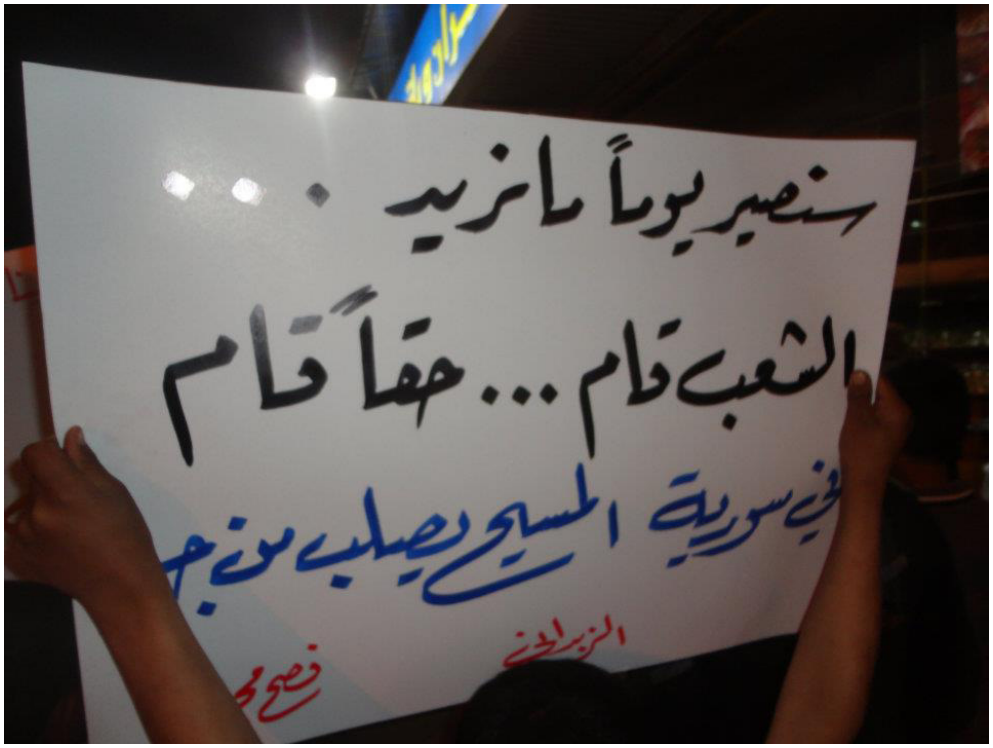

تعريف الافتراء:

من قدم شكاية أو إخباراً إلى السلطة القضائية أو إلى سلطة يجب عليها إبلاغ السلطة القضائية، فعزا إلى أحد الناس جنحة أو مخالفة يعرف براءته منها، أو اختلق عليه أدلة مادية على وقوع مثل هذا الجرم، يكون ذلك افتراء. والافتراء كما نصت عليه المادة 393 من قانون العقوبات هو إخبار عن جريمة يعرف المخبر أنها لم تقترف، وهذا الإخبار لا تتوافر فيه الصفة القانونية ما لم يكن مكتوباً أو موقعاً عليه من قبل صاحبه أو وكيله القانوني، ولا قيمة له إذا كان قولاً مجرداً. لا يتم الافتراء إلا بوجود إخبار منظم وفقاً للقانون، فإذا لم يوجد في القضية إخبار رسمي، فلا يكون الافتراء قائماً، وإن جريمة الافتراء تدور مع الجريمة المبلغ عنها فتقوم بقيامها وتنتفي بانتفائها، فإذا كانت الجريمة المبلغ عنها تلاشت بالتقادم فإنه لا محل لو صح المبلغ عنها بأنه مفتر.

عناصر الافتراء:

لا بد للإدانة بجرم الافتراء الجنائي من توفر ثلاثة عناصر وهي:

1ـ الشكوى الخطية من المفتري أو وكيله القانوني إلى النيابة العامة أو إلى سلطة يجب عليها إخبار السلطة القضائية.

2ـ توفر القصد الجرمي لدى المفتري وهو علمه المسبق ببراءة المفتري عليه من الجرم المعزو إليه تقديم الشكوى.

3 ـ قصد الإضرار بالمفتر عليه. ويشترط لعقاب المفتري أن يكون عالماً ببراءة خصمه حينما أقام عليه الدعوى، وهذا العلم ركن من أركان الجريمة لا تتم بدونه، لذلك لا بد للتحدث عن هذا الموضوع في قرار الحكم بشكل واضح وإقامة الدليل عليه بصورة مستقلة، وإذا عجزت النيابة العامة و المخبر عن إقامة الدليل على صحة دعواه، فلا يمكن اعتباره مقترفاً ما لم يثبت سوء قصده، كما لا بد من العلم ببراءة المفترى عليه وإقامة الدليل بأن غاية المخبر كانت للإضرار بالغير وإشباع رغبة الحقد والضغينة.

عقوبة الافتراء:

ذكرت المادة 393 في فقرتها الأولى عقوبة المفتري الجنحوية بحبسه من شهر إلى ثلاث سنوات وجاءت الفقرة الثانية من المادة نفسها تقول: " إذا كان الفعل المعزو يؤلف جناية عوقب المفتري بالأشغال الشاقة المؤقتة عشر سنوات على الأكثر، في حين ورد في الفقرة الثالثة من المادة المذكورة أنه إذا أفضى الافتراء إلى حكم بالإعدام أو بعقوبة مؤبدة، فلا تنقص عقوبته عن عشر سنوات أشغال شاقة ويمكن زيادتها إلى خمس عشرة سنة ". أما إذا رجع المفتري عن افترائه قبل أية ملاحقة فتخفف العقوبة، سنداً لأحكام المادة 241 عقوبات، وذلك تكفيراً عن خطئه وتلافيا لما تضمنه إخباره.

أما عن رأي محكمة النقض بجرم الافتراء فسأعرض لمجموعة من الاجتهادات المتعلقة بالموضوع:

- تقرير منع محاكمة من جرم لا يعني بالضرورة أن يكون المدعي مفترياً على خصمه بما نسب إليه في ذلك الجرم فالاجتهاد القضائي قد استقر على أن علم المدعى عليه ببراءة المفترى عليه لا يصح افتراضه وإنما لا بد من إقامة الدليل عليه.

ـ منع المحاكمة لعدم كفاية الأدلة أو لرجوع المدعي عن دعواه لا يكفي لاعتبار المدعي مفترياً.

/ القاعدة 243/ مجموعة القواعد القانونية التي أقرتها الهيئة العامة لمحكمة النقض جزء رابع

ـ المادة 393/ من قانون العقوبات العام نصت على عقوبة من قدم شكاية أو إخبار إلى السلطة القضائية أو إلى السلطة يجب عليها إبلاغ السلطة القضائية فعزا إلى أحد الناس جنحة أو مخالفة يعرف براءته منها أو أختلق عليه أدلة مادية على وقوع مثل هذا الجرم ومؤدي ذلك أن العلم ببراءة المفترى عليه ركن من أركان هذه الجريمة فلا تتم بدونه.

- يشترك في جريمة الافتراء أن يتحقق علم المفتري ببراءة المشكو منه أي أن يتوفر سوء القصد لدى المتهم ويجب إقامة الدليل على ثبوت سوء القصد لدى المتهم ويجب إقامة الدليل على ثبوت القصد الذي لا يصح افتراضه من مجرد ثبوت الكذب، إذ قد يكون المتهم بالافتراء ظن صحة الوقائع التي بلغ عنها لملابسات الحالة فاندفع من غير تريث إلى التبليغ والإخبار عنها.

- استقر الاجتهاد القضائي على أن المادة /393/ من قانون العقوبات العام اشترطت لإيقاع العقاب بالمفتري أن يكون هذا الأخير على علم ببراءة المفترى عليه مما هو منسوب إليه من جرم عند إقامة الدعوى ضده وأن تكون نيته منصرفة إلى الأضرار به، ولا تتم الجريمة بغير هذين الركنين (البراءة وقصد الافتراء).

- العلم ببراءة المفترى عليه قبل تقديم المفتري بالشكوى ركن أساسي من أركان جريمة الافتراء التي لا تتم بدون توافر هذا العلم.

ـ استقر الاجتهاد القضائي على أن منع المحاكمة لعدم كفاية الأدلة أو البراءة لا يكفي لاعتبار المدعي مفترياً بحق من برئت ساحته أو منعت محاكمة بل لا بد من إثبات أن المفتري على علم ببراءة خصمه عند إقامة الدعوى وهذا العلم ركن من أركان جرم الافتراء ولا يتم بدونه.

- إن مجرد تقصير الشاكي في إثبات صحة ما نسبه إلى المشكو منه أو عجز النيابة العامة عن تقديم الأدلة لإثبات الدعوى لا يؤدي إلى إدانة الشاكي بجرم الافتراء ولابد من إثبات سوء نية المشتكي وإثبات النية الجرمية.

- لا يكفي صدور الحكم بالبراءة أو منع المحاكمة ليكون أساساً للافتراء بل لا بد من إثبات علم المفتري ببراءة المفترى عليه.

ـ يتحقق جرم الافتراء بإخبار المفتري رجال الشرطة وتوقيعه لديهم لأن هؤلاء أعوان النائب العام، فكأن المفتري أخبر النائب فحرر الاتهام.

نقض سوري – جناية أساس 144 قرار 24 تاريخ 1974/1/20

يشترط لعقاب المفتري أن يكون عالماً ببراءة خصمه حينما أقام عليه الدعوى، وهذا العلم ركن من أركان الجريمة، لا تتم بدونه، لذلك فإنه لا بد من التحدث عنه بشكل واضح وإقامة الدليل عليه بصورة مستقلة.

نقض سوري ـ جنحة أساس779 قرار2426 تاريخ 19/12/11 لا ينتج الإخبار أثره ما لم يكن خطياً وموقعاً من صاحبه أو وكيله القانوني.

نقض سوري – جنحة أساس3880 قرار1421 تاريخ 1963/4/22

الإخبار المقدم إلى ضباط الضابطة العدلية العسكرية ينتج أثره بالنسبة لجرم الافتراء.

نقض سوري – جناية 191 قرار165 تاريخ 195682/2/26

في النهاية أجمعت اجتهادات محكمة النقض المتعددة على تجريم الافتراء، حال توافر الشروط الجرمية، وأتت اجتهاداتها منسجمةً مع توجه المشرع في تكريس احترام السلطة القضائية وأحترام كرامات المواطنين.

كما تجدر الإشارة إلى أن جرم الافتراء لا يكون إلا في القضاء الجزائي.

رسائل من سوريا

■ جمانة معروف

الرسالة 1

مسا الخير يا عزيزتي

هذا هو الشتاء يمضي. كم كان شتاءا طويلا وقاسيا! ربما يكون أقسى الشتاءات التي مرت على سوريا.

هل أخبرتك أن عملي انتقل من الضاحية إلى قلب دمشق. أمر من ساحة السبع بحرات مرتين في طريقي من وإلى عملي.

ففي هذه الساحة وعلى واجهة البنك المركزي كان هناك صورة كبيرة للرئيس تغطي تقريبا ثلث المبنى الكبير. منذ أسبوعين شقتها الريح فجأة من المنتصف. روت لي صديقه كانت تمر من هناك في تلك اللحظة أن الجميع انتبه لان الصوت كان قويا لحظة تمزقها نصفين من المنتصف تماما.. وصفت لي وجوه الحاضرين تنوعت من وجوه شامتة إلى خائفة.. الخوف هو السلعة الأكثر وفرة في سوريا منذ عقود... بعد يومين رأيت صورة جديدة نسخة عن القديمة لكن ربما تكون من نسيج قوي هذه المرة. كان هناك بضع عشرات من الشبان يرقصون على وقع موسيقى أغنية تتغنى بالرئيس وتحت الصورة لافتة كبيرة كتب عليها:

"بشار بخير
الدنيا بخير
باختصار"

سأكتب لك غدا في حال توفر الكهرباء والإنترنيت طبعاً.

سلامات

10/آذار 2012

الرسالة 2

مرحبا...

غدا عيد المعلم العربي وأنت تعرفين أنني اعمل معلمة في إحدى المدارس في قلب دمشق. فوجئنا نحن المعلمين والمعلمات هذا الصباح بإلغاء العطلة في هذا العيد. كنا قد خططنا للخروج والاحتفال في أحد مطاعم باب توما. لكن المدير دخل إلى غرفة المعلمين وبدأ خطابا صباحيا استهله بكيل المديح لوزير التربية ولذكائه الباهر... قال: "غدا 15 آذار وهو يوم (ثورة) لهؤلاء الحمير كما يسمونها، وهؤلاء الحيوانات دعوا للإضراب غدا. وأنتم تعلمون أن المدارس والجامعات تشكل 60٪ من الموظفين. وهم أن اضربوا سوف يكتب هؤلاء السفلة على الفيسبوك بأن الإضراب قد نجح. لذلك قرر الوزير (الذكي) أن يوم غد سيكون يوم دوام رسمي وعلى كل من يتغيب أن يقدم تبريرا لغيابه تحت طائلة العقوبة. سوف نخرج جميعا غدا بمسيرة تأييد عالمية في ساحة الأمويين. طبعا لا احد يرغمكم على الذهاب أبداً. ثم أنهى خطابه: "نحن نعرف أنكم جميعا وطنيين وسوف تقومون بدوركم كمعلمين ومربي أجيال غدا في الساحة".. وأضاف مازحاً "حضروا حالكن للدبكة".. ثم مضى بدون أن ينظر في وجوه المعلمين والمعلمات ورؤوسهم التي غرقت بين أكتافهم الذليلة. إحدى المعلمات الكبيرات بالسن رفعت صوتها: "يعني فيه مؤامرة والعصابات المسلحة تقتل الناس وترتكب المجازر وتخطف الأطفال وتغتصب النساء... طيب ليش الرقص والدبكة بالساحات؟؟ "روحوا بس ما ترقصوا.. يا أخي حزنوا شوية على الأرواح البريئة.. وقفوا دقيقة صمت.. دقيقة صمت بس ..."

تلعثمت المعلمة الفاضلة ونظرت حولها وتنفست الصعداء عندما رأتنا حولها.. نحن.. نحن فقط.

جمانة

14 آذار 2012

الرسالة 3

احتجت الكثير من الوقت هذا الصباح حتى اتخذت قراري بالذهاب للعمل. كما

تعرفين لدي طفلتاي أنا بحاجة لراتبي.

محظوظ من لم ينجب أطفالا يذله خوفه عليهم. وما جعلني احسم أمري هو أني جعلت من نفسي شاهدا أمينا على ما يحدث هنا. كان الوصول إلى دمشق سهلاً لكن العودة إلى البيت كانت صعبة جدا كما تعرفين بسبب الدعوة للمسيرة العالمية كما أسموها.

السائق الذي طلب منا ثلاثة أضعاف الأجرة كان يغير طريقه كلما واجهه حاجز امني مفاجأ طلب منه الرجوع. انقضى أكثر من ساعة ونصف ونحن نحاول الخروج من دمشق والطريق الوحيدة الممكنة إلى قدسيا كان طريق (القصر) كما نسميه. رجل مسن يجلس قبالتي صاح بالسائق: ".. قف.. قف أرجوك.. أريد أن اقضي حاجتي (يعني أريد أن أبول)، لكن سائق السرفيس، الذي يعرف عقوبة الوقوف في هذا الطريق، رفض أن يتوقف وظل الرجل العجوز يرجوه. سكت جميع الركاب وبدا الخوف على وجوههم وكأنهم كلهم يريدون التبول بشدة. بدأ البعض يلح على السائق كي يقف.. لكن رد السائق كان جادا: عمي.. عملها هون بالسرفيس وما تخليني وقف.. الله وكيلك بيخربو بيتي"..... كاد الرجل ينفجر عندما وصلنا إلى أراضي مشروع دمر فنزل العجوز ولم يصعد السرفيس بعدها..

على فكرة ما يقال أن مسيرات التأييد ليست عفوية هو أمر صحيح لكن الكلام حول سوق الموظفين قسراً هو كلام غير دقيق.. هناك من يُجبر على ذلك لكنه سرعان ما يهرب من المسيرة عندما يقترب من الساحة. لكن بالمقابل هناك آلاف المؤيدين الذين رأيتهم يمضون سيرا على الأقدام من كافة الاتجاهات وهم لا يبدون مجبرين.. رأيتهم يحملون الأعلام التي عليها صور الرئيس وسمعتهم يهتفون "شبيحة للأبد لأجل عيونك يا أسد"....

أينما نظرت اليوم في شوارع دمشق ترين الحواجز الأمنية والرجال المسلحين بلباس مدني وبلباس عسكري يقفون جنبا إلى جنب مع رجال الشرطة. يحملون بنادق مرعبة ويضعون حول خصورهم جعبات فيها الكثير من الرصاص ويتعاملون مع الناس بفظاظة. كنت طوال الطريق أقول لنفسي ما بدا واضحا لي أكثر من أي يوم مضى: "إنها الحرب حضري نفسك للأسوأ".. إنها الحرب ولا ينقذني منها الآن إلا الكتابة لك.

جمانة

201/3/15

الرسالة 4

مسا الخير

"عندما تخرج من بيتك تذكر أن تودع أسرتك فقد تموت بانفجار سيارة مفخخة أو برصاص قناص من على أحد المباني، أو برصاص عشوائي من جنود ما عادوا يعرفون العدو من الصديق".

هذا ما سيوصي به سكان دمشق بعضهم البعض بعد اليوم.

دمشق التي ظلت طويلا صامتة ولم تغير من عاداتها اليومية برغم موت الآلاف. برغم آهات المعذبين في أقبية السجون تحت مبانيها الفخمة وبالرغم من الدمار الذي حاق بشقيقاتها من المدن الأخرى. برغم كل شيء ظل سكان دمشق وحتى وقت قريب يمضون في سيرانهم* أينما طاب لهم الهواء والشمس، حتى لو كان ذلك بالقرب من الحواجز الأمنية. يسقون الجنود الشاي ويضيفونهم الطعام والسجائر.

لا ادري لماذا بدأت اكتب بشكل مثير للشفقة. أردت في رسائلي أن أحافظ على كم لائق من الكرامة وان انقل لك الصور بموضوعية شديدة.. لكن كيف؟؟

آه لو رأيت الحفرة التي أحدثها انفجار يوم السبت بالقرب من ساحة التحرير وكيف أصبحت واجهات المباني المجاورة. لو رأيتهم لعرفت كم باتت أرواحنا رخيصة. اليوم رأيت الخوف في عيون زملائنا المسيحيين. كانوا حزانى وخائفين.. هل أخبرتك أن مدرستنا هي صورة مصغرة عن سوريا الملونة..

الجميع يشتم ويلعن من قام بتدبير التفجير والكل يعني من يعنيه ودائما الفاعل مجهول لا ملامح له ولا اسم.. لكن ما استفز مشاعر الناس وهم يشاهدون آثار التفجير على القناة السورية الرسمية أن المذيع كان في غاية القسوة وهو يعرض أشلاء

الضحايا الذين يبدو أنهم سيزدادون في المستقبل.. قلت لك أننا نعيش حربا سيكون فيها الموت هو المنتصر الوحيد.

بمناسبة التفجير أريد أن اروي لك حادثة جرت يوم السبت صباحا مع فتاة أعرفها ربما تفيدك في تفسير التفجيرات أو قد تعطيك بعض المؤشرات لأني لا أريد أن افرض عليك استنتاجا حتى وان رغبت بذلك..

تعمل هذه الفتاة في مكتب لسيرياتل وهي كما تعرفين شركة اتصالات يملكها رامي مخلوف. وتسكن في زملكا حيث الاتصالات مقطوعة تماما، لذلك لم يصلها خبر زملائها بإعطاء الموظفين إجازة في ذلك اليوم. ما أن دخلت الفتاة المكتب حتى اقتحم رجال الأمن المحل ودخلوا مباشرة إلى غرفة تبديل الملابس وخرجوا حاملين عبوة ناسفة قالوا لها أنها كانت ستنفجر بعد بضع دقائق.؟؟؟؟

سلامات

2012/3/18

الرسالة 5

مرحبا سأنقل لك هنا أحد الحوارات التي تجري في المدرسة.

الشخصيات:

كاترين: مدرسة لغة أجنبية في الخمسينات من عمرها من باب توما

خضر: موجه انضباط في المدرسة. مدرب فتوة سابق وقادم من إحدى ضيع طرطوس.

زينات: مدرسة تاريخ من دير الزور

الحوار:

كاترين: مبارح في طالبة سألتني: آنسة هلق الرئيس لو مو داعمته أمريكا كان ضل؟؟.. يعني شوفي حسني مبارك لما تخلت عنه أمريكا تنحى! طلعت فيها وقلتلها: "وليه انت جدبة*؟؟؟ ليش أمريكا بتقدر للرئيس.. ليش أمريكا وكل مؤامرتها فيها لسوريا؟؟ تضيف بانفعال "لك شو هالجيل التلفان.. أغبياء وتافهين! عن جد شعبنا متخلف!

الموجه خضر: لك الجيل تافه وغبي لأننا شلنا البوط العسكري عن روسهن.. لك الشعب السوري كله شعب تافه. بكل شعوب الدنيا ما في أتفه من شعبنا.

الآنسة زينات: الشعب السوري تافه؟؟؟.. لك ما في أحلى من شعبنا.. وما في شعب بطل بالعالم مثل شعبنا.. لك أنا هلق صرت افتخر أني سورية..

حوارات تتكرر في كل مكان من دمشق.

جدبة: غبية

جمانة

2012/3/19

الرسالة 6

كيفك؟

يقول الحماصنة مازحين: "الموت والرصاص يعرفون رائحة الحمصي ويتبعونه أينما نزح، وهانحن نحمل الموت معنا إلى دمشق"!.

نعم دمشق ازدحمت بالنازحين من المحافظات المنكوبة وها هي الآن تزدحم بالموت.

بمناسبة الحديث عن النازحين، دعيني أحدثك عن زينب. الوجه الذي التصق بذاكرتي وكأنه يحثني لأكتب عنه. امرأة في العشرينات. من الخالدية في حمص. سألتها: بماذا أساعدك؟؟ أجابت: "أريد عملا"، ثم خفضت عينيها وأشارت إلى طفلة صغيرة التصقت بثوبها: "وحليبا لابنتي"..

وأنا انظر إلى زينب تذكرت أستاذ اللغة العربية في المدرسة. كان المدرسون يتحدثون عن التفجيرات الإرهابية. ثم بدؤوا بالحديث عن (المزة) والحرب التي دارت صباحا فيها: قال: "عليهم ضرب البيئة التي تحتوي هؤلاء(الإرهابيين) بدون رحمة.. البيئة التي تحميهم يجب ضربها بيد من حديد". ثم وقف وعلا صوته: "خلص الوضع صار بدو حسم.. خلص"!!

كنا ننظر إليه صامتين نبتلع ردودا سنؤجلها طويلا على ما يبدو، لكني الآن أتساءل: أتراه يتحدث عن زينب وطفلتها مثلا؟

2012/3/20

الرسالة 7

البارحة كنت وإحدى صديقاتي في إحدى بلدات ريف دمشق في زيارة لإحدى صديقاتنا.

اقترحت هذه الصديقة علينا أن نذهب معها لمواساة أم شاب قتل منذ أسبوع.

لم يكن سهلا أن نقول لا.

أخذنا معنا بعض الورود لها في عيد الأم. جلست الأم قبالتنا وبادرنا بالسؤال حول الحادثة. قالت لنا أنهم لم يعطوها جثة ابنها بعد. ذهب أعيان البلدة إلى فرع الأمن وإلى المشفى العسكري الذي قد يكون توفي الشاب الجريح فيه لكنهم قالوا لهم انه ليس لديهم. سألوا كل فروع الأمن وكل المشافي والجميع أنكر وجود الشاب أو جثته.. روت لنا الحكاية بأنه كان قد اعتقل مرتين وأن آثار التعذيب لم تزل على جسده. قال لها مرة أن الموت أهون ألف مرة من الاعتقال... و أكملت: "فعلا في المرة الثانية التي جاؤوا لاعتقاله هرب من المنزل. أختبئ مع بعض رفاقه في مزرعة. وعندما حوصرت من قبل رجال الأمن، حاولوا الهرب بالسيارة فقاموا بقصف السيارة فقتل أربعة منهم كانوا يجلسون في مؤخرة السيارة وبقي ثلاثة. كان هو أحد الناجين لكنه كان مصابا بعدة طلقات، فقال لرفيقيه بعد أن حملاه مسافة: "اتركوني واهربوا أن يعيش اثنان خير من أن يموت ثلاثة".. فتركوه يتشاهد* وهربوا". منهم عرفت الحكاية. قالوا لها أنهم رأوا في طريقهم ناطور يعمل في المزرعة القريبة أوصوه بالشاب الجريح.. ذهبت الأم لسؤال الناطور فال لها أن الدبابة حملته معها. الأم التي هم ترى جثة ابنها ولا تعرف أين هو أنهت قصتها بتنهيدة. ثم نظرت إلينا وقالت: "قد يكون حيا.. قد يكون استطاع الهرب بمفرده.. قد يكون الناطور أخذه وعالجه و لم يقل لي ... أو قد يكون في الدبابة جنديا طيبا أشفق عليه وأخذه إلى مكان ما وعالجه "ثم تخفض رأسها و تدمع عيناه وتكمل: "وقد يكون مات ووضعوا جثته في تفجيرات ساحة التحرير.. و.. و أحيانا يهيئ لي أنهم قد يكونوا اخذوا أعضاءه كونه لم يكون ميتا ... قد يكون.. قد يكون.. "تختنق الأم بالبكاء ونبكي جميعا معها.. نعم.. كل تلك الاحتمالات ربما لا تحدث إلا في سوريا!

* يتشاهد: يعني ينطق بالشهادتين قبل الموت

2012/3/22

الرسالة 8

مساء الخير

تقول حكاية ابنتي الصغيرة اليوم، انه في درس اللغة العربية، سألت المعلمة الأولاد: "إلى ماذا ترمز الحمامة؟" فأجابها ولد: ".. إنها ترمز للسلام".. قالت: "جيد .... والى ماذا أيضا؟؟ أجابت ابنتي: "إنها ترمز للحرية".. وقف ولد في آخر الصف وقال لابنتي عابساً:.. "بدك حرية؟؟" قالت المعلمة: "كلنا بدنا حرية وين الغلط؟؟" قالت فتاة مستهجنة: "آنسة.. كيف هيك؟؟.." ثم أنهت ابنتي حكايتها بسؤال: "ماما معلمتنا أكيد معارضة.!"

لكي تعرفي أي مأزق لغوي وأخلاقي واجتماعي وضعونا سأحكي لك عن الجدران.. فلكي تعرفي حقا ما يجري في سوريا عليك أن ترصدي التغيرات على الجدران.. و هذا موضوع طويل سأخصص له رسالة كاملة فيما بعد..

يكتب الشباب الثائرون على الجدران كلمة "حرية".. فيقوم رجال النظام بوضع نقطة على حرف الحاء لتصبح الكلمة "خراء".

أتخيل أحياناً انه إذا لم يتغير هذا النظام فعلينا أن نعمل على تغير اللغة لكي نخرج من المأزق الذي وضعونا فيه أمام أولادنا.

سلامات

2012/3/26

عن موقع صفحات سورية

حسن الحكيم 1888 - 1982م

■ ياسر مرزوق

ولد حسن بن عبد الرزاق الحكيم في دمشق عام 1888 لآل الحكيم الأسرة واسعة النفوذ والثراء في حي الميدان، تلقى علومه في مدارس دمشق وتخرج من معاهد الآستانة، وعين مديراً للشعبة الثانية لمكتب اللوازم العسكرية العثماني. منح الوسام المجيدي الرابع، وميدالية الحرب من الحكومة العثمانية. وفي عهد الحكومة العربية زمن الملك فيصل عين مفتشاً للمالية، فمديراً للبرق والبريد. وانتسب في أثناء ذلك إلى حزب العهد وكان من أعضاء مجلس إدارته.

ولما دخل الفرنسيون دمشق تمت محاكمته في ديوان الحرب العرفي بتهمة تأخيره للبرقية التي بعثت بها حكومة الملك فيصل إلى الجنرال غورو بقبول إنذاره المشهور

عن الدكتور " محي الدين السفرجلاني " ومن كتابه "فاجعة ميسلون " الصفحة /229/ ننقل " بعد أن دخل الفرنسيون دمشق، وبعد أن تألفت الوزارة الدروبية، أدانت هذه الوزارة مدير البرق والبريد العام السيد حسن الحكيم بجريمة الحيلولة دون إرسال برقية عن سابق إصرار وتصميم، وفي المحاكمة أثبت هذا الرجل الشريف والموظف النزيه، الذي كان مثال العفة والهمة والمروءة طول حياته في الوظيفة وغيرها، استقالته قبل ورود البرقية إلى مكتب البرق بساعتين ونصف، وكانت استقالته احتجاجاً على الوزارة، لنقضها ما عاهدت الأمة عليه على رأيه، فأثبت بذلك وباعتبارات أخرى نفسه العالية، وترفعه عن الإسفاف إلى هذه المواطن الضعيفة في الوظيفة، فأعلنت الإدارة العرفية براءته.."

يقول الحكيم في مذكراته الصفحة /24/ الجزء الأول " ما إن تيقنت من قبول الحكومة بشروط الإنذار ومن صدور الأمر بتسريح الجيش وسحب القوات ورأيت بعيني الرئيس الجليل هاشم الأتاسي رئيس الوزراء ويوسف بيك العظمة وزير الحربية يقصدان صباح /20/ تموز 1920 مقر المؤتمر السوري في بناية العابد لتلاوة المرسوم الملكي بتعطيل أعمال المؤتمر وشاهدت هياج الأهلين ضد الحكومة حتى صعد الدم لرأسي.... فقدمت تحت تأثير الانفعال النفسي استقالتي من المديرية العامة للبريد والبرق إلى وزارة المالية التي كنا مرتبطين بها والتي كان وزيرها آنئذ الأستاذ العلامة فارس بيك الخوري "

وعن خالد بيك العظم ومن مذكراته الجزء الأول صفحة /194/ ننقل "كان للحكيم ماض طيب وسمعة ناصعة، إنه من جماعة الشهبندر المناوئين للكتلة الوطنية " ومن الجزء الثاني الصفحة /278/ ننقل علماً أن العظم لم يكن على وفاق سياسي مع الحكيم " كان الحكيم رجلاً محبوباً في حي الميدان بدمشق، كان لطيف المعشر قريباً من الناس، ذا خصال حميدة لا ريب فيها "

ظهرت براءة الحكيم فرحل إلى مصر ثم إلى شرقي الأردن عندما عهد إليه بمنصب مستشار المالية (وزير) عام 1921. وعاد في العام التالي إلى دمشق، وفي 22 نيسان عام 1922 عاد المستر"كراين" رئيس لجنة الاستفتاء الأمريكية إلى دمشق لعدة أيام، فاستقبله الوطنيون بالحفاوة وتجمهر حوله الناس و أقاموا له حفلة تحولت إلى مهرجان، وأعلن الناس ما في نفوسهم من حب للحرية والاستقلال، فلم ترق للفرنسيين هذه المجاهرة، فقبضوا على كل من الدكتور عبد الرحمن الشهبندر وسعيد حيدر ومنير شيخ الأرض وحسن الحكيم وغيرهم، وعلى إثر هذه الاعتقالات قامت طالبات دار المعلمات بتظاهرة كبيرة.... وهي أول تظاهرة نسائية في سوريا، وحكم على الحكيم بالسجن عشر سنوات في جزيرة أرواد قضى منها تسعة عشر شهراً. وبعد الإفراج عنه تولى أمانة حزب الشعب، واشترك بالثورة السورية "-1925 1927" فحكم عليه بالإعدام، ففر إلى الأردن، ورحل إلى مصر وفلسطين حيث عين مديراً للمصرف العربي في يافا، وغادر إلى بغداد فساهم بتأسيس المصرف الزراعي الصناعي فيها.

رئيس الوزارة حسن الحكيم ورئيس مجلس النواب أكرم الحوراني ووزير الدفاع خالد العظم عام 1957 (عن موقع تاريخ سوريا)

عام 1937 عاد إلى دمشق، وعين مديراً عاماً للأوقاف الإسلامية، وتولى بعد سنتين وزارة المعارف في حكومة " نصوحي البخاري " ثم المديرية العامة للمصرف الزراعي حتى كلف برئاسة الوزراء عام 1941. وفاز بتمثيل دمشق عضواً في الجمعية التأسيسية عام 1949، فعضواً في المجلس النيابي بعد أن تحولت الجمعية إلى برلمان. عين بعدئذ وزيراً للدولة في حكومة الرئيس " ناظم القدسي " عام 1950 فرئيساً للوزراء ثانية عام 1951 في وزارة ائتلافية دامت أشهراً قليلة تسلم فيها إلى جانب الرئاسة حقيبة المالية.

جمعته بالزعيم الشهبندر علاقة وطيدة، عن كتابه " عبد الرحمن الشهبندر حياته وجهاده " ننقل " في الحق كان الزعيم الخالد أخي بالروح، وزعيمي في العمل الوطني، وإمامي الذي كنت أقتدي به في أداء الأمانة وتبليغ الرسالة، فقد صحبته عشرين عاماً وقفت خلالها على سيره وسيرته وحتى على سريرته ".

بعد تكليفه بتشكيل الحكومة الائتلافية وسقوطها عام 1951 اعتزل العمل السياسي وتفرغ للكتابة فترك للمكتبة العربية مؤلفات عديدة، كتاب «الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السورية»، «مذكراتي»، «عبد الرحمن الشهبندر حياته وجهاده»، «من هنا وهناك». ونشر مقالات وكلمات وخطباً في المجلات، وله «مذكرات حسن الحكيم» من جزأين. وتوفي بدمشق في30 آذار 1982م، ودفن فيها.

سماه الشيخ علي الطنطاوي «حسن الحكيم القوي الأمين».

تاريخ نبع الفيجة ومشروع جره

■ حنين اليوسف

لا توجد أية دراسات تحدد متى تفجر نبع الفيجة ولكن تؤكد الأقنية الرومانية قرب النبع أن الرومان كانوا يستعملونه. ويعتبر هذا النبع من أنقى وأصفى الينابيع في العالم.

في مطلع القرن العشرين نفذ الوالي ناظم باشا مشروع جر مياه نبع الفيجة إلى دمشق ووزعت المياه بواسطة القساطل إلى ما يقارب الخمسمائة سبيل في كل أنحاء المدينة، وبلغت كمية المياه النقية الممدودة في ذلك الوقت حوالي ألفي متر مكعب في اليوم بواسطة أنبوب قطره 250 مم.

في 12 تشرين الثاني عام 1904 أرسل فارس بيك الخوري رسالة إلى السيد محمد كرد علي ذكر فيها أنه وقف على التقويم الذي وضعه المهندس الإيطالي المسيو رافوتي والمتعلق بجر مياه الشرب من عين الفيجة إلى المدينة، وجاء فيه:

"لا بد لهذا العمل من حوضين أحدهما بقرب النبع والثاني في جانب الصالحية شمالي حي المهاجرين، فتكون المسافة بين الحوضين 19، 350 متراً. ارتفاع الأول عن سطح البحر 823 متراً، أي 48 متراً أكثر من ارتفاع الحوض الثاني الذي هو 775 متراً، مع أن موقف القطار في البرامكة لا يعلو عن سطح البحر أكثر من 699 متراً".

"إذا فرضنا أن سكان الشام ثلاثمائة ألف نفس وحسبنا للنفس خمسة لترات ونصفاً من الماء، أي خمسة آلاف وخمسمائة غرام كل يوم، يكون اللازم لشرب السكان 1، 650، 000 لتر كل يوم فلو قسمنا هذه الأرقام على 86، 400 وهو عدد الثواني في اليوم، يكون خارج القسمة 19، أي أنه يلزم لشرب المدينة أنبوب يصب 19 لتراً في الثانية".

"ولكن الأفضل أن يكون المصبوب أكثر من هذا المقدار لتلقي الحاجات التي تعرض أحياناً كإطفاء النار عند وقوع الحريق..... ولهذا السبب نرى الأوفق أن يجر الماء في أنبوب قطره خمسة وعشرون سنتيمتراً، فيصب في الثانية 24 لتراً من الماء بدل 19".

"ومن الحوض الكبير الذي ينشأ في الصالحية يوزع الماء إلى أحياء المدينة في أنابيب تشتق بعضها من بعض وتفتح أفواهها إلى مائة وخمسة وسبعين منهلاً متفرقة في جوانب البلدة، يردها الناس ويستقون منها الماء إلى بيوتهم".

"أما نفقات هذا العمل فتقدر من النبع إلى الحوض الثاني في الصالحية بحوالي عشرين ألف ذهب عثماني، ومن الحوض الثاني إلى المناهل بنحو أربعة عشر ألفاً، يضم إليها نحو ستة آلاف ذهباً أجوراً ومعاشات ونفقات إدارة".

وفي سنة 1921 فكر الفرنسيون في جر مياه الشرب من نبع الفيجة إلى أحياء مدينة دمشق على أن يعطوا امتياز هذا المشروع إلى شركة فرنسية.

كان رئيس البلدية يومها يحيى الصواف، فعرض عليه مستشار البلدية الفرنسي مشروع الامتياز وشروطه. عندها طلب رئيس البلدية من فارس الخوري _الذي كان آنذاك مشاوراً حقوقياً للبلدية_ دراسة هذا المشروع، علماً أن جميع دوائر الدولة كانت قد وافقت عليه.

عندما درس فارس الخوري المشروع تبين له أن شروطه تضر بمصلحة السكان فسجل اعتراضاته على ظهر الأوراق المقدمة إليه (النسخة الوحيدة) وذلك لتعطيل المشروع الأجنبي. اقترح الخوري تأسيس مشروع وطني تكون فيه مياه نبع الفيجة ملكاً للأمة السورية وأنهى دراسته بوجوب الاعتذار عن قبول الطلب لما يحمل بين طياته من الحيف على البلد وبقاء ري ظمأها في أيدي الأجانب. ونتيجة لدراسة الخوري اجتمع المجلس البلدي ورفض المشروع الفرنسي، وتمت إعادة الأوراق إلى مستشار البلدية الذي غضب جداً من رد المشروع خصوصاً بعد أن قام الخوري بتدوين كل مطالعته على الأوراق المقدمة.

بعد حوالي السنة قامت مجموعة من التجار الدمشقيين بالاجتماع لبحث موضوع تأسيس شركة تجارية لتوزيع المياه من نبع الفيجة، ولكن فارس الخوري عارض هذا المشروع بشدة لأنه أراد أن تكون هذه الشركة عمومية أهلية لا استثمارية. ولذلك قدم الخوري في اليوم التالي مشروعاً وطنياً مفصلاً من أجل جر المياه من نبع الفيجة، وهذه الدراسة هي التي اعتمدت ونفذت وما زالت قائمة إلى اليوم.

تدشين أول مشروع لجر مياه نبع الفيجة إلى دمشق قرب دار فخري البارودي في ساحة الأمويين عام 1932

كان السيد لطفي الحفار آنذاك نائباً لرئيس الغرفة التجارية ودعى أعضاءها في أوائل عام 1922 وكلفهم بحث قضية جر مياه الفيجة والتفكير في تأليف شركة مساهمة وطنية أهلية لتنفيذ المشروع.

وفي أحد الاجتماعات المعقودة لدراسة هذا المشروع تمت دعوة السيد فارس الخوري _وكان عضو مجلس الاتحاد السوري_ ليكون واحداً من المؤسسين لهذا المشروع، وليقدم أي اقتراح يراه مناسباً ويصب في مصلحة العمل. خلال الاجتماع شكر الخوري كل المساهمين في هذا المشروع وعبر عن خوفه من أن يتحول إلى مشروع أجنبي بواسطة بيع وشراء الأسهم، فقدم اقتراحاً مهماً يحفظ للعمل هويته السورية. ويذكر لطفي الحفار في كتابه "ذكريات" ما قاله الخوري حول هذا الاقتراح:

"أما اقتراحي فهو شعبي محض يحصر الفائدة بأهالي مدينة دمشق عامة لا بشركة معينة، ويقضي بتمليك المال لأصحاب الأملاك في المدينة، على أن يكون الماء مرتبطاً بالملك لا يجوز بيعه ولا تحويله دون تحويل الملك أو بيعه، وبذلك يكون ضمان بقاء هذا المشروع وطنياً أهلياً بدون أن يتطرق إليه أي خطر كان".

"إذا كنتم توافقون على هذا الاقتراح فأرى أن تؤلف لجنة فنية لدرس المشروع درساً دقيقاً وتقدير جميع ما يلزمه من النفقات، ثم يوزع مجموع قيمة تكاليف المشروع على عدد من الأمتار التي تحتاجها مدينة دمشق بعد درسها فنياً، وتباع الأمتار بالقيمة المقدرة ملكاً أبدياً لأصحاب الأملاك بمدينة دمشق، ثم تقوم لجنة دائمة فنية وإدارية لمراقبة العمل وإدارته وتصليح ما يتخرب من المؤسسات والأنابيب وشبكة المياه وتوسيعها بحسب الحاجة، وتؤمن قيم هذه الأدوات التي تستهلك ونفقات المصلحة من رسم سنوي يفرض على المشتركين، ثم مبيع الأمتار للمالكين كل بحسب حاجته وبحسب تقدم العمران والبناء".

وافق كل الحاضرين في الاجتماع على اقتراح فارس الخوري الذي حول هذا المشروع من شركة وطنية استثمارية إلى مشروع تعاوني أهلي، وتبنى لطفي الحفار فكرته بإيمان حقيقي، وعملاً معاً على وضع نظام المشروع. وفي شهر نيسان من عام 1922 نشرت مجلة غرفة التجارة تفاصيل هذا المشروع التي قدمها فارس الخوري.

وتشكلت لجنة عضواها لطفي الحفار وعارف الحلبوني بهدف الحصول على الامتياز لهذا المشروع باسم مدينة دمشق.

وتألفت لجنة أخرى تحضيرية تضم عدد من الشخصيات الدمشقية ومنهم فارس الخوري، سامي مردم بك، عطا العظمة، أحمد دياب، يحيى الصواف، وأنطون السيوفي.

نجحت اللجنة في الحصول على الموافقة في شباط 1924 بفضل عمل وإصرار كل أعضائها، وذلك رغم المعارضة الشديدة من قبل الفرنسيين.

انتهت عملية جر مياه النبع إلى دمشق بعد معاناة وصعوبات كبيرة، ودشن هذا المشروع في 3 آب 1932 باحتفال كبير أقيم في حديقة المنشية وخطب فيه عدد من رجالات سوريا.

وفي عام 1981 تمت إقامة نفق جديد بطول 14، 400 كيلومتراً وبتصريف 10 أمتار مكعبة بالثانية، وسمي فيما بعد بالنفق الجديد، وسمي النفق الذي دشن عام 1932 بالنفق القديم.

إن مشروع جر مياه الفيجة إلى دمشق هو أول مشروع وطني ينجح نجاحاً باهراً ويكون سبباً لتنشيط أبناء البلاد لإقامة مشاريع جديدة تحمل النفع العام للأمة. وكما قال الخوري في خطابه "الأمة التي تستطيع فتح هذه الأنفاق وبناء هاتيك السدود وإسالة المياه بهذا الأسلوب الرائع الذي غفل عنه الرومانيون على جسامة حضارتهم واستبحار عمرانهم، لا تعجز عن النهوض بالمشاريع الأخرى الجسيمة والتدرج في الصناعة والإنتاج، إلى أن تستغني عن كثير من المنتجات الأجنبية وتؤيد لنفسها توازناً اقتصادياً تصان به ثروتها ويضمن بقاؤها وتبني استقلالها السياسي على أراكين الاستقلال الاقتصادي الذي بدونه تبقى عرضة لأطماع الطامعين وجشع المستعمرين. أجل إن أمتنا فقيرة بالمال ولكنها غنية بالإيمان الوطني، ضعيفة بالآلات والأعتاد وإنما هي قوية بالتضحية وبالغيرة القومية، ومتى كان للأمة إيمانها فإنها تكون قادرة على صنع المعجزات".

أول لجنة لمياه عين الفيجة | موقع النبع قبل تغطيته عام 1924

جمال داوود

دراسة في أسباب تفجير جامع زين العابدين في الميدان...
نظرية المتّهمين:
النظرية الأولى: المخابرات السورية.
النظرية الثانية: المخابرات السورية بمساعدة مخابرات أخرى.
النظرية الثالثة: مخابرات متنكرة بزي سلفيين.
النظرية الرابعة: سلفيين بدن يثقبوا الجامع كبارية بعد الثورة.
النظرية الخامسة: سلفيين ضاق خلقن من تفجير مراكز الأمن حبو يغيرو جو يفجروا جوامع.
النظرية السادسة: سلفي عم يقفل.
النظرية السابعة: سلفي "امتعض من شيخ الجامع.
النظرية الثامنة: جماعة الإخوان الملحدين تبنت الهجوم على الجامع ردًا على تحطيم تمثال بوذا في أفغانستان.
النظرية التاسعة: الجامع مفخخ منذ عقد الرومان.
النظرية العاشرة: الجزيرة بمساعدة حمد والأمريكان و تركيا والعربية فجروا الجامع لأنو هي الحرية يلي بدن ياها.

لى قنوت

يخطئ النظام عندما يظن أن بإمكانه القضاء على الثورة ،فمن يرى العزيمة والإصرار في عيون الثوار والنشطاء يعلم أن هذا النظام أصبح يحارب فكرة ، فالحرية والكرامة والقطيعة مع الاستبداد بكل أشكاله لن يساوم عليها السوريون بعد الآن.

وائل سواح

في أيار المقبل سيفوز رئيس فرنسا بنسبة لن تتجاوز ال ٥٤٪. حلمي برئيس من هذا النوع..

جورج دوميط

الثورة حتٌ وتعرية... كمسار الريح فوق الصخور...

فرات الفرات

من الحسكة.. أحد المجندين جلب في تابوت إلى أهله وكانت خدمته في حمص.. وقف والده فوق جثمانه مخاطبا إياه.. إذا كنت قتلت أهلنا بحمص الله لا يرحمك.. إلى جهنم وبئس المصير.. وإذا كنت ما قتلت حدا منهم الله يتقبلك شهيد يا ابني..

سعاد جروس

قبل عام كنا نتفاجئ بأحيائنا وبلداتنا وقرانا السورية.. تتفتح أسماءها كالزهر في بيداءنا الوطنية.. كنا نتعرف على أسماءها الواحدة تلو الأخرى في نشرات الأخبار وكل مرة تدهشنا بجمالها وروعة شجاعتها وصلابة صمودها.. بعد عام من الدم ترى هل تلك التي لم نكن نعرفها.. تعترف بنا؟!..

عبد الحميد برو

ومن قال أن النظام العالمي أفضل من النظام السوري..

مروان شربجي

مرة واحد ركب بالتكسي شاف الشوفير معلق 3 صور يوسف العظمة و سلطان باشا الأطرش و رامي مخلوف.... الزلمة استغرب وسأل الشوفير: مين هدول يلي حاطط صورهن؟!؟ جاوبه: يوسف العظمة بطل ميسلون.. وسلطان باشا الأطرش قائد وطني و مجاهد ثوري... ورامي مخلوف شريكي بالتكسي..

كريم الأفغان

كل الطرق تؤدي إلى ضياع جديد إلا طريق "حمص- موح حسن" يوصلنا إلى الحرية!

عبدالله أبازيد

تصبحين على دُرّية، في أهنية الموت.. لتعودي إلى الوطن!.. إلى الحرّة، إلى أجمل روح في الوطن، إلى رزان غزّاوي

جمال أبو الحسن

كلمة إقصاء التي كثر استخدامها على الطالع والنازل وخصوصا على لسان العنبد من المثقفين أصبحت فارغة من مضمونها، مضحكة، سخيفة، لطالما صارت المقارنة بينها وبين الموت في هذه المواجهة الخطيرة التي تشهدها الثورة مع القتل والسرقة والتمييع والمراهنة... نحن لسنا ديمقراطيين ومن يقول غير ذلك فهو كاذب وملفق ويصطاد في المياه العكرة ولكن علينا أن نتعلم، ونحن لسنا أحرارا ومن يظن ذلك فهو يعيش في السماء لا على الأرض ولكننا طلاب حرية وعلينا المتابعة للوصول إليها.. ونحن لا نعرف ماذا نريد سوى فقط إسقاط النظام ومن يقول بأنه يعرف ماذا بعده فهو مثقف يحتر نفسه ويدخل البلد في الدوامة نفسها التي نحن فيها الآن... إذا ما علينا سوى العقل ومعرفة أن كل عمل له أثر في حياة الشعوب يجب أن يكون موقعا بيد من قام به فلا تجعلوا الثورة شتات....

فرهد جعفر

يضعون على الأعلام.. نجوماً، أهلة، صلبان، سيوف، نسور، الله أكبر! لو كان هناك دولة واحدة في العالم تضع قلوبا

إياد عماشة

في صمت الظلمة قرأت أن السجان أحيانا يكون هو السجين، وأن كرامة الإنسان كروحه لا تسلب إلا بإذن خالقها، وأن بين الجدران ربوعا وسهولا وأحلاما قادرة على تحرير الوطن.

راشد عيسى

لم أكن أفهم لماذا كان أنصار النظام قبل الثورة (كم أحب هذه الكلمة) يصفون كل من ينتقد مؤسسة أو فعالية في البلد بأنه حاقد، حتى لو كان المرء يتحدث عن فعالية ثقافية. الآن أفهم. كانوا يعرفون جيدا ما فعلت أيديهم. يعرفون جيدا ما يستحقون، ما يستحق نظامهم..

علي قطيفان

بعد ذبحهم و سلخهم.. يبيعون ألعابهُم و عرائسهُم على الأرصفة، كي يستطيعوا شراء عُلب «الجيتان» التي ارتفع سعرها جراء الحظر الاقتصادي من الدول الصديقة. فلم تعُد مُقدرات الوطن قادرة على تغطية مصاريف التدخين خاصتهم!

خولة دنيا

في صور مرشحي مجلس الشعب الجدد يوجد الكثير من الابتسامات العريضة، والعضلات المفتولة والسيدات الجميلات.. هؤلاء هم مرشحو مجلس المؤيدين.

رولا الركبي

مازلت ترى في طريق عودتك ليلا عشاقا يسيرون متشابكي الأيدي في عتمة الدروب خارج منظومة الخوف والقمع، عشاقا يحلمون بوطن وعائلة، ما زال الشعب السوري حي مقاوم !

وائل ماك

ليست الثورة أن تسلم رسنك إلى راكب جديد، الثورة أن تحرر نفسك من الرسن والسرج و من كل الركاب الذين يطمعون بك.

نادر قاسم

فتحت السماء حديثاً جسر جوي بين سوريا والجنة لكثرة الشهداء، والعدد على لائحة الانتظار كبير جدا..

خديجة بن قنة

أحيانا كثيرة يكون النظام الحاكم في بلد ما أهون على الشعب من بعض المعارضين فيه الذين يبحثون عن مصالحهم الشخصية السياسية بحجة إنقاذ الشعب والبلد من فساد وظلم وبطش النظام

فضل نوفل

كم شهيد ستودع سوريا اليوم قرابين لهذا الإله الآدمي.. ألم تكتفي بعد؟!

إياد حياتلة

لم أزر تفتناز يوماً، ولا مررت بمعظم قرى وبلدات ريفي حلب وإدلب، ولكنني لا أحتاج كثير وقت لأحدد موقعهم على الخارطة.. إنهم في قلبي

خالد الحاج بكري

أتابع عصام العطار.. يعني الرجل والله ما بده دولة إسلامية ولا بيقبل حتى فكرة أن تقضي الثورة إلى دولة إسلامية! ثم.. وبعيدا عن حق الحلم، لأي حالم.. لا أجد العطار وحشا كما صوّره للسوريين.. الحمل الوديع: حافظ الأسد!

القاتل الذي يحاصر المدن ويقصد السكان ويهجرهم ويلاحقهم في أماكن نزوحهم لألا يترك أمام أطفالهم فرصة لحب وطنهم، الذي يعتقل ويعذب ويذبح ومن ثم يفرح بذلك ويرقص على جثث أبناء الوطن، الذي مازال ناجحا، إلى اجل، في تكريس شقاق بين أبناء الوطن الواحد واحد واحد، يبحث ليل نهار عن ذرائع تنقذه في سعيه لخلط السم بالعسل والأبيض بالأسود ولحجب الشمس بالغربال.

الذرائع هذه هي في المقام الأول أدلة يحتاجها على أن معارضيه يستهدفون المدنيين من مواليه، لا الشبيحة ولا المخبرين ولا القتلة. أن معارضيه يهدفون إلى إقامة دولة دينية تتسلط فيها أكثرية طائفية على أقليات عديدة من أهل الوطن فتحرمهم حقوقهم وتؤسس دولة تسلطية قمعية جديدة. أن معارضيه جهلة عصبيون يكرهونه لأسباب طائفية تؤججها مصادر تمويل طائفية خارجية. أن الحرية والكرامة والديمقراطية والعدالة ليست الهدف الحقيقي لمعارضيه بل أن شهوة القتل هي أساس معارضتهم.

لا سامح الله كل من يمنح القاتل السفاح عذرا أو يسعفه في إثبات حجة أو يسهم في تخويف أي مدني اعزل، مهما كان موقفه السياسي، من التغيير القادم. من يفعل هذا هو عميل النظام الحقيقي لكنه أكثر جهلا من أن يدرك ذلك. على كل واع حريص على النصر والتقدم أن لا يجامل الجاهل اليوم بل أن يسانده «ظالما أو مظلوما».

عروة نيربية

| هل الأطراف المعارضة قادرة على تجاوز خلافاتها وخصوصا في ما يتعلق بدعوة المجلس الوطني إلى الخيار العسكري؟

| | منذ فترة، برزت الدعوات لتوحيد صفوف المعارضة، وكانت هناك محاولات عدة لكنها بقيت ضعيفة التأثير. وبصرف النظر عن بعض الاختلافات بين أطراف المعارضة السورية، تبقى مسألة الوحدة أحد أبرز البنود المتداولة على جدول أعمال المعارضة. وليس المقصود في وحدة المعارضة توحيد الأطر التنظيمية في اتجاه واحد، وإنما التوافق على برنامج سياسي يهدف إلى قيادة المرحلة الانتقالية في سورية، وأيضاً إلى التوافق على صورة الدولة الجديدة. وبالنسبة لبعض الأصوات الداعية للتدخل العسكري الخارجي، فهذه النقطة في رأينا غير قابلة للتطبيق بفعل الواقع الدولي الراهن وواقع سورية، وهذا يعني أن المشتركات بين أطراف المعارضة بعد سقوط الرهان على الخيار العسكري، أكبر من نقاط الخلاف.

| حذرت وثيقة إعلان البحر الميت من تفرد أي طرف من المعارضة بأي تسوية مع النظام. إلى من توجهون رسالتكم في هذا المجال؟

| | في الحقيقة هذا الأمر لن يكون وارداً في مسار أي عمل سياسي مستقبلي، ونحن نحذر من حدوث تسوية ما لعدة أسباب: الأول، لان دخول أي طرف باتجاه التسوية مع النظام سيؤدي إلى احتراق هذا الطرف، والثاني، الثورة السورية لم تقم من أجل طرف معين بل من أجل كل الشعب السوري، وإقامة أي تسوية مع النظام من أي طرف معارض يعني الانقلاب على الثورة، وهذا يتطلب جمع جهود المعارضة السورية مع فئات الشعب السوري. والثالث، ثمة مؤشرات لدينا تجعلنا متأكدين من أن النظام يسعى إلى جذب بعض أطراف المعارضة نحو تسوية ما على حساب الأطراف الأخرى. ورغم أننا حتى الآن لا نملك معطيات كافية، لكن هناك دفعاً علنياً وأكاد أقول دولياً للحل السياسي باتجاه التسوية، وهذا المناخ قد يسمح للبعض بالدخول في تسوية معينة.

| طالب بعض ممثلي الأكراد خلال المؤتمر بشطب كلمة «العربية» عن اسم الجمهورية السورية لكن هذه الدعوة رُفضت. ألا تتخوفون من تنامي دعوات الفيدرالية في حال سقوط النظام؟

| | لديّ رأي شخصي حول هذه المسألة مفاده أن كل الأطراف العربية والكردية لم تتعامل بشكل عقلاني مع المشكلة الكردية، وكل طرف للأسف كما يُقال يسحب البساط نحوه من دون التفكير في سورية. يفترض معالجة القضايا الوطنية من زاوية سوريّة لا أن ننظر إلى سورية بعين كردية أو عربية.

| جرى في المؤتمر نقاش حول طبيعة الدولة السورية وعلمانيتها حيث طرح ممثلو التيارات العلمانية واليسارية والقومية مسألة علمانية الدولة وفصل الديني عن السياسي، لكن هذا الأمر لم يجد قبولاً لدى التيارات الإسلامية. ما الصيغة التي تمّ الاتفاق عليها بشأن هوية الدولة؟

| | حتى الآن ما زال هذا الأمر قيد النقاش ولم يتم التوصل إلى صورة واضحة حول طبيعة الدولة، وهذا لا ينفي وجود إجماع بشأن الدولة الديمقراطية. وفي رأيي نحن بحاجة الآن إلى ما يسمى «الدولة المحايدة» كفترة انتقالية، وأعني أن هذه الدولة ليست لها صفة إيديولوجية وتقف على مسافة واحد من الجميع.

| ثمة تشديد في الوثيقة على مكوّنات الشعب السوري على المستويين الديني والإثني. ما الخطوة الأولى التي من شأنها طمأنة الأقليات في سورية؟

| | الطوائف والإثنيات موجودة في سورية وهي شريك في مستقبل سورية، وجميعها سيكون لها حقوق في الدستور السوري الذي ستشارك في وضعه القوى السياسية الجديدة، لكن المرفوض هو التطرف والتفكير الطائفي.

السؤال والجواب: من حوار في صحيفة الرأي مع المعارض السوري الدكتور حازم نهار | أجرى الحوار: ريتا فرج

العربي التائه «نهايات طرق»

■ ياسر مرزوق

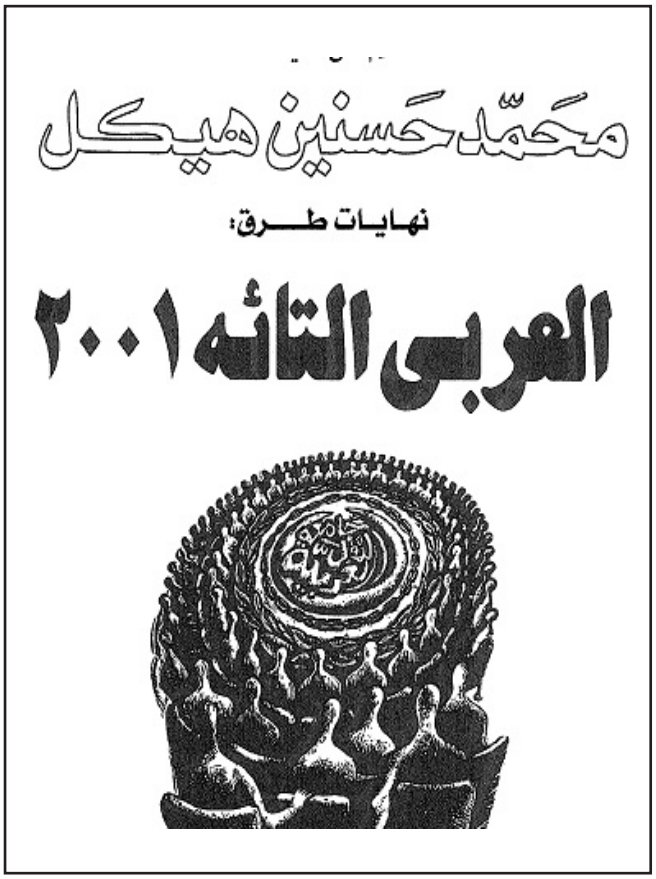

يحل محمد حسنين هيكل ضيفاً للمرة الثانية على صفحات مجلتنا، وتكرار استعراض أعمال هيكل في صفحة قراءة في كتاب ليس بالأمر المستغرب، فهيكل بلا شك أهم كاتب سياسي في تاريخ العرب الحديث. كما أن هناك من يرى بأنه يساعد مساعدة قيمة في إعادة إحياء العرب من خلال قراءته العميقة لما حدث وهو ما يجب أن يرشد صناع القرار اليوم. وهو القائل " سلاحك مرتبط بمعرفة الآخرين انك قادر على المواجهة ". وبغض النظر عما قيل ويقال عن هيكل سيظل أهم كاتب في تاريخ العرب المعاصر. لقد قرأت معظم كتبه وسحرني أسلوبه ولا أدري من يأتي بكلماته، فهيكل يكاد الكاتب السياسي الوحيد الذي يكتب بأسلوب أدبي ممتع، دون الإخلال بالموضوع، كأنك تقرأ رواية لكاتب عالمي ولكنها واقعية، يستخدم هيكل جملاً رائعة تشد القارئ وتلامس مشاعره، كاتبٌ خبيرٌ بخفايا النفس البشرية، معلوماته دقيقة للغاية وأسلوبه بسيط سهل على أي قارئ فهمه، وهو شاهد عيان ومعاصر لكل الأحداث الكبرى، يتكلم من قلب الأحداث، علم من أعلام هذه الأمة، وقد ترجمت كتبه إلى 32 لغة، ما يعني أنه أوسع انتشارا من جميع مهاجميه فهو نجم ثقافي ومؤلف جدلي يثير الاهتمام حينما يكتب أو يصمت أو يتحدث.

وكتابنا اليوم العربي التائه يفتتحه هيكل بمقالةٍ بعنوان " قمة عمان القادمة " مستعرضاً للمشهد العربي قبيل مؤتمر القمة العربية في عمان عام 2001، ولهذا المقال أهمية كبرى بعد أن ودعنا قمة بغداد المخيبة للآمال عام 2012 لاستقراء انجاز العرب على صعيد العمل المشترك بعد عشر سنوات.

ويقدم هيكل لكتابه بما يلي:مع بداية هذا القرن الجديد – القرن الحادي والعشرين – فإنه يبدو أن العربي أصبح هو التائه وهو صدى بالمقلوب لتعبير شاع قبل ذلك قروناً عن "اليهودي التائه". وفي قرن سبق – وهو القرن العشرون – فإن ذلك "اليهودي التائه" وجد لنفسه مكانا حط فيه رحله، وحصن موقعه – وفي نفس الوقت فإن "العربي" اختلطت عليه الأمور.... وبدا وكأنه ضيع عالمه وفيه تراثه ومستقبله... ثم إنه ارتحل بحاضره تائه بين الحقيقة والوهم. وبين الرؤية والسراب... وبين الحلم والعجز. وهكذا بدأ القرن الحادي والعشرون واليهودي الذي كان "تائهاً" متحصنا في المشروع الصهيوني على أرض فلسطين في حين أن العربي الذي كان راسخا في الطبيعة والتاريخ أصبح هو الشارد في التيه: قد يعرف من أين.. ! لكنه لا يعرف إلى أين ...

هذه فصول مما كتب محمد حسنين هيكل سنة 2001، وهي سنة طلع على الدنيا فيها قرن جديد، ومن المفارقات أن البداية فيما كتبه هيكل كان حديثاً عن مؤتمر القمة العربي في عمان- آذار/مارس 2000، وكان عنوانه: "نهايات طرق". ثم إن هذه الفصول تأتي اليوم على شكل كتاب، تصل إلى قارئها والأمة قد تطلعت إلى مؤتمر القمة العربي في بيروت، آذار/مارس 2002، والظاهر ولسوء الحظ ومع تسارع الأحداث على الأراضي الفلسطينية، أن الطرق تبدو عند نهايتها وكأنها وصلت إلى تيه لا يظهر عليه أفق.

ومع بداية هذا القرن الجديد، القرن الحادي والعشرين ومع نوايا إسرائيل العدوانية المدعمة من الولايات المتحدة الأميركية فإنه يبدو أن "العربي" أصبح هو "التائه"، وهو صدى بالمقلوب لتعبير شاع قبل ذلك قروناً عن "اليهودي التائه". وفي قرن سبق، وهو القرن العشرون، فإن ذلك اليهودي التائه وجد لنفسه مكاناً حط فيه رحله، وحصّن موقعه، وفي نفس الوقت فإن "العربي" اختلطت عليه الأمور، وبدا وكأنه ضيّع عالمه وفيه تراثه ومستقبله، ثم أنه ارتحل بحاضره وتائهاً بين الحقيقة والوهم، وبين الرؤية والسراب، وبين الحلم والعجز.

وهكذا بدأ القرن الحادي والعشرون واليهودي الذي كان "تائهاً" متحصناً في المشروع الصهيوني على أرض فلسطين، في حين أن العربي الذي كان راسخاً في الطبيعة والتاريخ أصبح هو الشارد في التيه: قد يعرف من أين؟ لكنه لا يعرف إلى أين؟! كان هذا هاجس محمد حسنين هيكل عند إعادة هذه الفصول لوضعها بين دفتي هذا الكتاب.

آراء وتوجسات هيكل هذه تطرح تساؤلاً: هل كان هيكل مسرفاً في قلقه اتجاه مصير العربي وحاله ! أم أنه وعلى ضوء استقراء متزامن مع اجتياح شارون لفلسطين، والأبعد أنه اجتياح وامتهان للأمة العربية، على ضوء هذا الاستقراء، هل جاءت هواجس هيكل تحدّث بالواقع وعنه. هذا ما ستكشف عنه التحليلات السياسية حول وقائع وأحداث عايشها هيكل ودارت حولها مقالاته عند كلامه في السياسة.

في الفصل الثاني وتحت عنوان " وقفة مع الصديق الأمريكي " يتحدث هيكل عن التقليد المستحدث ورحلة الحج التي يقوم بها القادة العرب إلى أمريكا سنوياً مع حلول بشائر الربيع للتشاور مع الصديق الأمريكي، في عام مفصلي انتصر فيه اليمين المتطرف في أمريكا وإسرائيل.

" التاريخ لا يعيد نفسه، لكن الحقائق المتشابهة تخلق أحياناً ضرورات متقاربة "

وكعادته وبرشاقة ينتقل وتحت عنوان"الفرنكوفونية... وأخواتها " لأطماع فرنسا ومشروع ديغول الفرنكفوني" الصوت الفرنسي " واستعادة الإمبراطورية الضائعة، ببحث متفرد وبعناوين فرعية " رجل باريس القوي في السبعينات، مغامرات نادي السفاري في أفريقيا، القمة الفرنكوفونية في بيروت.

" نعم لفرنسا من قلب أوروبا، صاحبة التاريخ وشريكة الحضارة، للفكر الفرنسي والثقافة الفرنسية، ونعم لفرنسا جواراً شمال المتوسط.. لكن فرنسا التي تقصد التعويض عن الإمبراطورية مسألة أخرى "

" المؤامرة والسياسة والجريمة " قصص يرويها هيكل عن العواصم الغربية والأثرياء العرب، المخابرات الجريمة مشاهد ووقائع القصة مثيرة للخيال، لكن الخيال الملتبس بالحقيقة أو الحقيقة الملتبسة بالخيال أكثر إثارة.....

"أيام وليال في لندن" حوارات مع صناع القرار والشخصيات المثيرة للجدل في عاصمة الضباب "معد مع الهموم العربية في قلب العاصمة البريطانية، الماريشال" مونتغمري "هل كان أم لم يكن" يطرح هيكل السؤال الذي ملأ الدنيا ضجيجاً حول الهوية الجنسية لبطل انكلترا هل كان مثلياً، وهو موضوعٌ شائك لم يتم التطرق إليه في الصحافة العربية من قبل.

"السياسة بين الحلم والإرادة" يعرض هيكل لكتاب "سنوات الظلام " لجوليان جاكسون، عن تجربة التعاون والائتلاف أو التحالف بين أطراف تتفاوت بينها عوامل القوة والضعف بما يميل بالموازين " نظرياً " إلى ناحية الأقوياء، إلا إذا أدرك الضعفاء أن ما هو " نظري " له جانب آخر " عملي "، وتجربة " شارل ديغول " وحكومة فرنسا الحرة والاستعانة بالخارج، دون التفريط بحقوق الداخل.

رد ديغول: "إن فرنسا الحرة لا تعض صديقاً لكنها لا تمانع أن يفهم من يهمهم الأمر أن فرنسا ما زال لديها أسنان"

ينهي هيكل كلامه في السياسة طاوياً صفحات كتاب "فرنسا: سنوات الظلام"، متفكراً في شأن هذا البحر الأبيض الذي تحلقت الحضارات حوله، وارتكز التاريخ في سطوره، وكتبت الإنسانية واقفة أمامه بعضاً من أشهر الصفحات في قصتها، تلك الأرفع قيمة، وتلك الأدنى تواضعاً.

عن «الإرهابي» سلامة كيلة

■ بدر الإبراهيم

النظام السوري يقاتل الإرهابيين.

هكذا تقول الدعاية الرسمية للنظام، ثم يزفّ لنا السيد بشار الجعفري من نيويورك خبراً سارّاً: أطلقنا عشرة آلاف معتقل ممن لم تتلطخ أيديهم بالدماء!

إذا كان النظام يقاتل الإرهابيين، فماذا يفعل الآلاف من غير الإرهابيين في سجونه؟! هذا جزء بسيط من حكاية خطاب إعلامي لا يجيد سوى كذب الهواة المُضحك.

يفجّر اعتقال سلامة كيلة قنبلة في وجه كل من كرر على الناس الحديث عن بدء عجلة الإصلاحات بالدوران في سوريا.

الإصلاح كذبة أخرى لم يصدقها إلا من أراد العيش خارج الواقع. مثقف يساري عروبي أصيل يعود إلى السجون السورية بعد أن سُجن سابقاً لثمانية أعوام. هكذا يعامل النظام المثقفين الأحرار المستقلين. لا يرغب بسماع أصواتهم، ويودعهم السجون مراتٍ لعلهم يصمتون.

يخالف سلامة كيلة نوعية المثقفين «القوميين الممانعين» الذين تصدّرهم لنا الآلة الإعلامية السورية، ووسائل الإعلام الحليفة لها؛ فهؤلاء يتمثل دورهم «القومي» في تمجيد الأشخاص وتنصيبهم حراساً للفكرة القومية ومخلصين لشعوبهم دون غيرهم، في ما يشبه الاصطفاء الإلهي. ويقدمون مع هذا الأمر خطاباً يزاوج بين التخوين والعنصرية: «الأعراب المتخلفون أذناب الصهيونية».

يصدر هذا الخطاب العنصري الفوقي باسم العروبة من دون حياء أو خجل، ترافقه حملة تخوين لكل المثقفين العروبيين الذين لا يرتضون المشاركة في حفلة ردح عنصرية باسم الممانعة.

تميّز طرح سلامة كيلة بالوضوح والانسجام مع الذات والفكر اليساري، وسط تيه اليساريين بأحزابهم ومثقفيهم وبعض جمهورهم.

هو اليسار الذي وجد نفسه في موقع أقرب للنظام من الفقراء المنتفضين في أرياف سوريا، والذي أصدر بياناً باهتاً عن اعتقال مثقفٍ يساري بارز كسلامة كيلة، وما عاد قادراً على اتخاذ الموقف الصحيح في معارك الشعوب من أجل الحرية والكرامة.

هذا اليسار في حالة تخبط منذ سنوات كرّسها موقفه اليوم، ومعه يتخبط المقاومون وينحازون إلى حساباتهم السياسية الضيقة، ويراكمون الخسائر الأخلاقية والسياسية.

«من واجب المثقف أن يكون معكراً لصفو السلطة». هكذا يقرر المفكر الراحل إدوارد سعيد، وهو ما تبناه سلامة كيلة بامتياز، فقرر ألا يكون مثقفاً «نفطياً» مسترزقاً، ولا أن يدخل في حاشية سلطة الممانعة، فيبرر الاستبداد بشعارات المقاومة.

قرر سلامة أن يكون نقدياً بما تحمله الكلمة من معنى شامل لا تفقده الحسابات السياسية والأيديولوجية صدقيته.

سلامة كيلة فلسطيني احترم فلسطين، ولم يقبل استخدامها بندقية تُصوَّب ضد مطالب الناس، وهذا بالتحديد ما يزعج الآلة الإعلامية المدافعة عن الاستبداد: المبدئيون الذين يفضحون زيف توظيف الشعارات والعناوين المتعلقة بفلسطين والمقاومة في معركةٍ ضد مطالب شعبية عادلة.

هؤلاء «الإرهابيون» الذين يمثلون خطورة كبيرة على الدعاية الإعلامية «المُمانِعة»، مثل سلامة كيلة، لا حل معهم سوى الحبس، واتهامهم بـ«إضعاف الشعور القومي»، و«توهين الأمة».

هي مشكلة بالفعل: في العالم العربي هناك من لا يزال يعتقد بقدرة السجن والمنع على قطع وصول الأفكار وتحقيق انتصارات إعلامية. الأدوات القديمة غير فاعلة في مشهد جديد ومختلف كليا، وهذا بالضبط ما يجعل المأزق في سوريا متفاقماً، رغم ادعاءات مثقفي الآلة الإعلامية الرسمية أنّ الأزمة «خلصت».

بعد الربيع العربي، سقط عدد من المثقفين المعروفين لأسباب مختلفة. منهم من انحاز إلى أنظمة استبدادية في وجه إرادة الشعوب، ومنهم من تناقض موقفه بين ثورة وأخرى بدوافع سياسية أو أيديولوجية، ومنهم من اختار المعارضة لينقلب على مبادئه وأفكاره ويسلم نفسه للغرب ليتحكم بحركته، بعد أن كان في أطروحاته يرفض مركزية الغرب وتدخلاته. سلامة كيلة أحد الناجين من السقوط الثقافي هذا، ومهما كان الاختلاف مع إحالته الانتفاضة في سوريا إلى أسباب اقتصادية/اجتماعية، واستخدام الأدوات الماركسية لبناء مشهد صراع طبقي هناك، فإنّ الرجل كان منسجماً مع نفسه، ومتصالحاً مع مطالب الناس، والأهم متصالحاً مع إنسانيته.

لا يعني اعتقال مثقف أكثر من تعريف الناس بأفكاره التي تتحرر أكثر وتنطلق لتحاصر السجّان.

الحرية لسلامة كيلة ولمن طالب بحريتهم.

* كاتب سعودي

عن جريدة الأخبار اللبنانية 27 / 4 / 2012

شهداء سورية

مجموع الشهداء (13934)

دمشق: 252
ريف دمشق: 1172
حمص: 5733
حلب: 404
حماه: 1517
اللاذقية: 245
طرطوس: 56
درعا: 1416
دير الزور: 466
الحسكة: 50
القنيطرة: 18
الرقة: 59
ادلب: 2541
السويداء: 5

1155 عدد العسكريين
12779 عدد المدنيين
901 عدد الإناث
221 عدد الأطفال الإناث
744 عدد الأطفال الذكور

المصدر: إحصائية قاعدة بيانات شهداء الثورة السورية 25 / 4 / 2012
http://syrianshuhada.com